الجمـــهورية الجزائريـــة الديمقراطيـــة الشعبيـــة
REPUBLIQUE ALGERIENNE DEMOCRATIQUE ET POPULAIRE

MINISTERE DE L'ENSEIGNEMENT SUPERIEUR
ET DE LA RECHERCHE SCIENTIFIQUE
UNIVERSITE 8 MAI 1945 GUELMA
Faculté des lettres et langues
Département de la langue et littérature arabe

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعـــة 8 مـاي 1945 قالمـــــــة
كليـــــة الآداب واللّغات
قسم اللغة والأدب العربي

الرقم: .....

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة

الماستر

تخصص: أدب جزائري

النزعة الصوفية وتجلياتها في ديوان أحمد بن مصطفى العلاوي المستغانمي

(دراسة في نماذج مختارة)

مقدمة من قبل:

الطالبة :كافي منال

تاريخ المناقشة: 2025/06/24

أمام اللجنة المشكلة من:

الأستاذ	الرتبة	الصفة	الجامعة
د. يزيد مغمولي	أستاذ مساعد –أ–	رئيسي	جامعة 8 ماي 1945 قالمة
د. أسماء سوسي	أستاذ محاضر – أ –	مشرف ومقرر	جامعة 8 ماي 1945 قالمة
د. ندى بوكعبن	أستاذ محاضر –ب–	ممتحنا	جامعة 8 ماي 1945 قالمة

السنة الجامعية: 2025/2024

بسم الله الرحمن الرحيم

الشكر والعرفان.

"أتقدم بالشكر للمولى سبحانه وتعإلى مصدقا لقوله : " إِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ"

"صدق الله العظيم"

وامتثالا لقول النبي صلى الله عليه وسلم : من لم يشكر الناس لم يشكر الله اتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى أستاذتي المشرفة الدكتورة أسماء سوسي حفظها الله و رعاها ووقتها في حياتها متمنية لها المزيد من النجاحات في مسيرتها المهنية وأتقدم إليها بالشكر على ما قدمته ليا من نصائح وإرشادات لا تمام هذا العمل.

فلها مني كل فائق الاحترام والتقدير

–كما أتوجه بالشكر والعرفان لأعضاء اللجنة المناقشة لقبورهم مناقشة عملي هذا.

كما أتقدم بالشكر لكل من قدم ليد يد العون سواء من قريب أو من بعيد لإنجاز عملي هذا العلمي.

والشكر والحمد لله جل جلاله

الإهـــــــداء

من قال أنا لها نالها

وَقُلِ اعمَلوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُم وَرَسولُهُ وَالمؤمِنونَ وَسَتُرَدّونَ إلى عالِمِ الغَيبِ وَالشَّهادةِ فَيُنَبِّئُكُم بِما كُنتُم تَعمَلونَ)التوبة/105

ما سلكنا البدايات إلا بتيسيره وما بلغنا النهايات إلا بتوفيقه وما حققنا الغايات إلا بفضله فالحمد لله الذي وفقني لتثمين هذه الخطوة في مسيرتي الدراسية بكل حب أهدي ثمرة نجاحي:

"إلى نفسي الطموحة أولا التي لم تخذلني " ابتدأت بطموح وانتهت بنجاح

إلى من جعل الجنة تحت أقدمها ، إلى اليد الحنونة التي أزالت عن طريقي الأشواك وغرسة فيا حب العلم والتعلم، إلى القلب الحنون والشمعة التي كانت لي في الليالي المظلمات نورا إلى حبيبتي وقرة عيني التي كانت مصدر القوة والإلهام لي إلى من كانت دعواتها الصادقة سر نجاحي " أمي"

إلى من أحمل اسمه بكل افتخار، إلى من كلله الله بالهيبة والوقار إلى سندي ومسندي، " إلى أبي " فالحمد لله الذي جعلك من بين صفوة الرجال أبا لي.

إلى ضلعي الثابت الذين رزقني الله بهم سند حياتي إلى خيرة أيامي وصفوايا إلى قرة عيني إخوتي

"وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ"

مقدمة

مقدمة:

يعد التصوف من أبرز التيارات الفكرية التي شكلت توجه الإنسان نحو السمو الروحي، إذ يسعى من خلاله إلى بلوغ مراتب الكمال متحررا من القيود المادية ومنصرفا إلى تزكية النفس وتطهيرها ، ومن هذا المنطلق ينظر إلى التصوف بوصفه ركيزة أساسية في بنية الفكر الإسلامي ، وقد حظي باهتمام واسع النطاق لم يقتصر على العصر الراهن ، بل امتد منذ قرون إلى أن بلغ عناية العلماء والمفكرين العرب والمسلمين قديما ، أما بالنسبة لظهور التصوف بالجزائر فقد كان خلال القرون الأولى للهجرة أي القرن 6 و 7 هـ ، متأثرا بانتشار الإسلام وبتقاليد الزهد، ومما ساهم في انتشار التصوف بالجزائر تأسيس وإنشاء الزوايا و إنتشار الطرق الصوفية ومن أبرزها الطريقتين القادرية والشاذلية اللتان تعدان من أهم الطرق التي ظهرت بالجزائر والتي بدورها ساهمت في ظهور الطريقة العلاوية التي أسست على يد الشيخ أحمد بن مصطفى العلاوي والتي ساهمت هي الأخرى بشكل كبير في انتشار التصوف بالجزائر و خارجها ، والتي ولدت بدورها من رحم الطريقتين السابقتين الطريقة القادرية والتي هي مغربية والطريقة الشاذلية التي جاءت من المشرق العربي بسبب الإحتكاك بين المغرب والمشرق بفضل تلك الرحلات العلمية بينهما ، ونظرا لأهمية الأديب باعتباره شاعرا في المنحى الصوفي ومؤسسا للطريقة العلاوية في الجزائر إنصبت الدراسة على مدونته المعنونة بـ "ديوان العارف بالله والدال عليه" بغية تسليط الضوء على تجليات النزعة الصوفية فيها حيث تمثل النزعة الصوفية بعدا روحيا وفكريا عميقا في شعره و تستدعي اهتماما نقديا خاصا لفهم أبعادها الدلالية والجمالية، فضلا على أن ديوان الشاعر ينضح بالنزعة الصوفية السنية والفلسفية التي تعبر عن رؤية روحية معرفية عميقة تتجاوز الظاهر إلى الباطن ، ناهيك عن الأهمية الفكرية والدينية لشخصية الشيخ والشاعر أحمد بن مصطفى العلاوي باعتباره علما من أعلام التصوف في الجزائر ما جعل ديوانه مادة خصبة للبحث والدراسة.

ومن بين الأهداف التي دفعت بي لاختيار الموضوع ،

الوقوف على أهم الصور والمفاهيم الصوفية التي عبر عنها الشاعر مثل "الفناء المحبة الإلهية ، الحنين إلى الذات الإلهية" هذا بالنسبة للدراسة في الديوان في الجانب التطبيقي.

تسليط الضوء على مفهوم التصوف والخطاب الشعري الصوفي كما تطرقنا كذلك إلى نشأة وإرهاصات هذه النزعة الصوفية في الجزائر وأشهر أعلامها.

كما كانت الطرق والزوايا الصوفية بالجزائر محط الدراسة على وجه العموم والطريقة العلاوية على وجه خاص بأورادها وأذكارها باعتبار شاعرنا مؤسسا لهذه الطريقة وأحد مشايخها.

وقد تضمنت الدراسة إجابة عن إشكالية أساسية مفادها:

كيف تجلت النزعة الصوفية في ديوان العارف بالله والدال عليه للشاعر أحمد بن مصطفى العلاوي ؟

إلى أي نوع من التصوف تنتمي هذه المضامين ؟

ما هي الطريقة العلاوية ؟ وفيها تتمثل الأسس والخصائص والأوراد والأذكار الخاصة بها؟

وسعيا منا لتعرف على ماهية النزعة الصوفية وتجلياتها في ديوان أحمد بن مصطفى العلاوي قسمنا بحثنا إلى "مقدمة" و التي تضمنت ذكر لأهمية الموضوع مع دوافع اختياره وإشكالياته.

وقسم البحث إلى فصلين الفصل الأول المعنون بـ "النزعة الصوفية بين المفاهيم والإرهاصات" و الذي تمت فيه دراسة المباحث التالية:

مفهوم التصوف لغة و اصطلاحا ثم تطرقنا إلى ماهية الخطاب الشعري الصوفي تليه نشأة النزعة الصوفية وإرهاصاتها في الجزائر وأشهر أعلام هذه النزعة بالإضافة إلى التعرف على الطرق والزوايا الصوفية بالجزائر تاريخها و نشاطها كما خصصنا الدراسة والحديث عن الطريقة العلاوية مع إبراز أسسها و خصائصها و الأوراد و الأذكار الخاصة بها.

ثم انتقلنا إلى الفصل الثاني الذي يحمل عنوان "النزعة الصوفية في ديوان أحمد بن مصطفى العلاوي" دراسة في نماذج مختارة ليرصد تجليات النزعة الصوفية في ديوان شاعرنا عبر مجموعة من المضامين المتوزعة عبر كل من التصوف السني الذي تمثلت موضوعاته في الحب الإلهي ، الذكر، التزكية .. ،و التصوف الفلسفي بموضوعاته المتمثلة في الرموز للدلالة عن الوجد والحب الإلهي المطلق.

و ذيل البحث بخاتمة رصدت أهم النتائج المتوصل إليها فيه.

وقد اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي كونه الأنسب لوصف النزعة الصوفية وتجلياتها في ديوان شاعرنا و تحليل نماذج من موضوعاتها.

و فيما يتعلق بالدراسات السابقة التي تناولت الموضوع فهي قليلة ونادرة لأن جلها اعتمد على دراسة الطرق والزوايا الصوفية بالجزائر حيث لم يحظ ديوان "العارف بالله والدال عليه" بالدراسة والتحليل من قبل عكس الطريقة العلاوية التي تناولتها دراسات أكاديمية كثيرة نذكر منها دراسة بحثية لمذكرة شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي المعاصر التي تحمل عنوان "المكانة الدينية للطرق الصوفية في الجزائر خلال القرن العشرين" الطريقة العلاوية أنموذجا (1909 -1934م) والتي أفادتنا في دراسة الطرق الصوفية بالجزائر نشأتها و انتشارها ، كما حظيت هذه الدراسة بالحديث عن الطريقة العلاوية و مؤسسها أحمد بن مصطفى العلاوي، ومن بين الدراسات الأكاديمية الأخرى التي تطرقت للنزعة الصوفية في ديوان شاعرنا العلاوي نجد دراسة بعنوان "الشيخ أحمد بن مصطفى العلاوي المفسر الأديب والشاعر المتصوف" من إنجاز الأستاذ مزاري عبد القادر ، وهي عبارة عن دراسة نماذج مختارة من ديوان الشاعر العلاوي أين تطرق فيها إلى موضوعات كل من التصوف السني والفلسفي التي تصب كلها في "الوجد الإلهي. "

أما بالنسبة للمصادر والمراجع التي ساعدتني لإنجاز البحث أذكر:

صلاح مؤيد العقبي الطرق والزوايا الصوفية بالجزائر تاريخها و نشاطها واستفدنا منه في الكثير من الأمور في مفهوم الزوايا دورها و نشاطها والتعرف علي أبرز الطرق لا سيما الطريقتين القادرية والشاذلية دون أن ننسى الطريقة العلاوية.

الطاهر بونابي التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و 7هـ الذي يزخر بتاريخ ظهور التصوف بالجزائر ومراحل تطوره .

أمين يوسف عودة، تجليات الشعر الصوفي الذي أفادنا هو الآخر في مضامين الشعر الصوفي.

رفيق المعجم ، موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي الذي ساعدنا خلال الدراسة في التعرف على المصطلحات الصوفية لا سيما المتجلية في الديوان.

والبحث في الموضوع ليس من السهولة بمكان فقد اعترضت طريقي مجموعة من الصعوبات متمثلة في ندرة المصادر والمراجع و الدراسات الأكاديمية حول أشعار العلاوي على الرغم من مكانته الدينية والروحية ، حيث لم ينل شعره ما يستحقه من الدراسة والتحليل ، وعلى الرغم من ذلك لم أدخر جهدا في الإستفادة من بعض المصادر التي ذكرت أهمها سابقا.

و لا يفوتني الذكر بأن أتقدم بجزيل الشكر والإمتنان للأستاذة المشرفة و الدكتورة أسماء سوسي على توجيهاتها القيمة ومتابعتها المستمرة التي كان لها الأثر الكبير في إنجاح هذا العمل، كما أعبّر عن خالص التقدير لأعضاء لجنة المناقشة على قبولهم مناقشة عملي هذا فهم بمثابة مصدر إثراء وتوجيه علمي عميق فلكم مني جميعًا كل الاحترام والتقدير.

وفي الختام لا يفوتني أن أنوه أن المذكرة و البحث في الموضوع يطاله نقص وعثرات تستدعي إهتمام الباحثين في مجال الأدب الصوفي الجزائري لاستكناه خصائصه الموضوعية والفنية إحياءا للنزعة الصوفية في نقد الأدب الجزائري القديم منه والحديث والمعاصر، فإن أصبنا فبتوفيق من الله ، وإن أخطأنا فمن أنفسنا وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه.

الفصل الأول: النزعة الصوفية في الجزائر

مفاهيم وإرهاصات

تمهيد:

إن التصوف ليس فقط علم من العلوم الاسلامية، بل هو في حقيقة الأمر جوهرها لأنه تصفية القلب و تطهيره من رجساته عن غير الله وإخلاص للعبودية له وتحرير الجسد ونبذ الدنيا و هجر ملذاتها وشهواتها والخشوع والصمت والتأمل في إبداع الخالق بما في ذلك الانفراد عن الخلق في الخلوة والعبادة مع الخالق ، كما كان للتصوف يوما ما مكانته المرموقة لا سيما في المجتمع الإسلامي، إلا أنه السائر العلوم الاسلامية أضيف إليه ما ليس فيه ودخل فيه رجال ليسوا من أهله كالدجالين والمنحرفين فوجدوا فيه مجالا لدجلهم وخرافاتهم وشعوذتهم، فأساؤوا بذلك إليه أبلغ إساءة وأصبح التصوف مظهرا من مظاهر الفقر والجهل والضعف والتخاذل والاستسلام والفراغ من العمل مما كان له الأثر السيئ في المجتمع الإسلامي، فلم يعد بذلك موضوع التصوف الاسلامي يجذب إليه الدارسين المتخصصين من المسلمين والمستشرقين فقط، وإنما هو يجذب إليه أيضا القارئ العادي الذي أصبح يحس بوطأة المذاهب المادية والعبثية المعاصرة على نفسه وبحاجته إلى ما يرضي عقله و يشبع روحه ويعيد إليه ثقته بنفسه وكذا طمأنينته التي بدا يفقدها في زحمة الحياة المادية وما فيها من ألوان الصراع العقائدي المختلفة، وبهذا يحقق معنى إنسانيته.

وليس التصوف هروبا من واقع الحياة كما جاء على لسان خصومه ، بل هو محاولة من الانسان للتسلح يقيم روحية جديدة تعينه على مواجهة الحياة المادية وتحقق له التوازن النفسي حتى يواجه مصاعبها ومشكلاتها وبهذا المفهوم يصبح التصوف إيجابيا لا سلبيا ، ما دام يربط بين حياة الانسان و مجتمعه.

و للطرق الصوفية والزوايا في تاريخ مغربنا العربي عامة والجزائر خاصة دور عظيم فموضوع الطرق الصوفية والزوايا يشكل في نظر النزهاء من الكتاب والباحثين حلقه هامة في سلسلة تاريخنا الثقافي العظيم الحافل بجلائل الأعمال ، فقد كان للزوايا فضل كبير في تربية الأجيال تربية إسلامية عربية كان من بينها ذلك الجيل المؤمن بدينه ووطنه كما لا يخفى علينا ذلك الفضل الكبير للطرق الصوفية بالجزائر في نشر الإسلام خاصة عن طريق الزوايا والحفاظ على كتاب الله ومواجهة سلطان المادة الطاغية ، و تزكية النفوس و تعزيز صلة القلوب بالله و مقاومة المعتدين على دار الإسلام .

أولا : مفهوم التصوف

لغة: ذهب العلماء في أصل كلمة التصوف ومأخذها عدة مذاهب فهناك من قال أنها أخذت من الصفة تشبيها لهم بأهل الصفة من فقراء المهاجرين والأنصار الذين كانوا يقيمون في صفة بناها لهم الرسول صلى الله عليه وسلم في مؤخرة مسجده الشريف للذكر والعبادة لا يبرحونها الا غزوة أو معركة أو جهاد في سبيل الله ولا شك أن الحياة التعبدية الخالصة في لأهل الصفة كانت القدوة الحسنة للصوفية من بعدهم ، كما قيل أيضا أن لفظة التصوف أخذت من الصفاء أي صفاء القلب بما في ذلك قلب الصوفي المتعبد وطهارة ظاهره وباطنه عن مخالفة أوامر ربه وفي هذا الصدد يقول العلامة الألوسي في كتاب الفيض الوارد والذي يميل إليه الكثير من السادة ما يفهم من هذين البيتين:[1]

تنازعَ الناسُ في الصوفيِّ واختلفوا فيه، وظنُّوهُ مُشتقًّا من الصوفِ

ولستُ أمنحُ هذا الاسمَ غيرَ فتى صافٍ، فصوفيٌّ حتى سُمِّيَ الصوفي[2]

فهنالك من ذهب إلى أن الأصل في التسمية " التصوف" راجع إلى الاشتقاق من لفظة الصوف " ذلك أن المتصوفة كانوا يفضلون ارتداء اللبس الخشن الذي يصنع من فرو الشاة أو ما يكسو جلد الحيوان كالوبر والإبل والماعز ، فكان القوم يفضلون لباسه لمناسبته لحياة الزهد التي كانوا عليها فيقال تصوف الرجل أي أنه لبس الصوف الذي أصبح لباسا خاصا بالزهاد والمتصوفة عند خلوتهم الإلهية.[3]

لُبسُ المتَصوِّفِ لُبسُ الصوفِ تَرقَعُهُ وَلَا بُكَاؤُكَ إذْ غنّى المفَنَّوْنا

وَلَا صِيَاحٌ، وَلَا رَقصٌ، وَلَا طَرَبٌ وَلَا اضْطِرَابٌ كَأَن قَدْ صِرْتَ مَجْنُونَا

بَلِ التَّصَوُّفُ أَنْ تَصْفُوَ بِلَا كَدَرٍ وَتَتَّبِعَ الحَقَّ وَالقُرْآنَ وَالدِّيْنَا

[1]– صلاح مؤيد التعبيد الطرق الصوفية و الزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها، النشر دار البراق 2015/10/17م بيروت لبنان د ط تاريخ الإصدار 01/01 / 2002 الصفحة 34.

[2] – أبو الوفاء التفتزاني مدخل إلى التصوف الإسلامي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ت 4696، 59، ط 3. ص 210 .

[3] – المرجع السابق ، ص 35.

كما قيل أيضا بأن كلمة ولفظة التصوف تنسب إلى صوفة تشبيها لهم بآل صوفة وهم قوم من عرب الجاهلية كانوا يجاورون بمكة المكرمة ويسهرون على خدمة الكعبة المكرمة ويتنسكون. أما بقية الأقوال فإنها و إن أصابت من ناحية معنى اللفظ فإنها أخطأت من ناحية قاعدة النسب في اللغة العربية التي تقتضي بدورها أن يقال: في النسب إلى الصفاء صفائي وإلى الصفة صفي وأما نسبتهم إلى صوفة فإنها و إن وافقت الجانب اللغوي إلا أن تمسك المسلمين بكل ما هو إسلامي ونبذهم لكل ما هو جاهلي لينفي هاته النسبة من أساسها.

– وبالعودة إلى تلك النسبة التي تقر بأن الأصل في تسمية الصوفية ترجع إلى الصوف مطابقة لما عليه الكثير منهم اقتداء بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم الذي نسب إليه لبس الصوف لما جاء ذلك في قول أنس فيما رواه ابن ماجة أن الرسول عليه الصلاة والسلام " أكل خشنا ولبس خشنا ، لبس الصوف واحتذى المخصوف "، وكذلك ما جاء على لسان الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه وهو يخاطب الرسول صلى الله عليه وسلم باكيا " لقد والله جالستنا، ونكحت إلينا ووكلتنا و لبست الصوف وركبت الحمار وأردفت خلقك"[1].

نلتمس هنا في قول عمر بن الخطاب أن النبي صلى الله عليه وسلم عرف بارتدائه اللبس الخشن بما في ذلك الصوف كما ورد أن بعض الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم كانوا يؤثرون لباس الصوف على غيره من أنواع اللباس الأخرى زهدا في حطام الدنيا وتجنب للبس الفاخر من الثياب والظهور بين الناس بمظهر الزينة . لذلك واقتداء بسيد الخلق عليه الصلاة والسلام و سيرا على خطى الصحابة الهادين المهديين نجد الكثرة من المتصوفة جعلوا من الصوف لباسهم الدائم لأنهم رأوا فيه من معاني الزهد و التواضع و الظهور بمظهر الفقر إلى الغنى الحميد مالا يجدونه في غيره من أنواع اللباس الأخرى.[2]

فقد روى أن الصوفي الكبير محمد بن واسع دخل على قتيبة بن مسلم الباهلي عامل خرسان وعليه مدرعة صوف خشنة ولعلها كانت قديمة بالية فقال له قتيبة : "ما يدعوك إلى لباس هذه ؟ فسكت ولم يرد جوابا . فقال له قتيبة فيما يشبه الغضب : أكلمك فلا تجد تجيبني ؟ فأجاب محمد في خشوع و هدوء : أكره أن أقول زهدا فأزكي نفسي أو أن أقول فقرا فأشكو ربي".[3]

[1] – صلاح مؤيد العقبي الطرق والزوايا الصوفية بالجزائر تاريخها ونشاطها ، النشر دار البراق 17/10/2016م د. تاريخ الاصدار 01/01/2002 الصفحة بيروت لبنان، د ط تاريخ الاصدار 2002/01/01م، ص 36.

[2] – المرجع نفسه، ص 37.

[3] – المرجع نفسه، ص 37.

ب/ إصطلاحا: وكما اختلفت الآراء والأقوال في ضبط مفهوم التصوف من الناحية اللغوية ، كذلك هو الأمر بالنسبة للمفهوم الاصطلاحي إلا أن الآراء هنا تبدوا متقاربة كل منها يشير إلى ضبط مفهوم واحد وشامل لماهية التصوف الذي يمثل بشكل عام نزعة إنسانية ظهرت في كل الثقافات بصورة متفاوتة فالتصوف في مفهومه لدى العامة من العلماء والفقهاء، هو الابتعاد والانقطاع عن شهوات الدنيا و ملذاتها فهو في جوهره تعبير عن إشباع الجانب الروحي والزهد في متع الحياة الفانية رغبة في التعالي عن الشهوات المادية والابتعاد عن زخرف الدنيا و زينتها و الزهد فيها فيما تقبل عليه النفس البشرية من لذة ومال و جاه بغية الارتقاء والتعالي في سلم الصفاء الروحي والفوز بالرضا في دار الباطل و بلوغ السعادة في دار الحق التي يبتغيها الزاهد و المتصوف أثناء خلوته مع خالقه[1].

قبل ضبط مفهوم للتصوف لا بد أن نتطرق لمعرفة مرحلة ما قبل التصوف والتي تعرف بالزهد فكل متصوف زاهد فهو المرحلة الأولى للتصوف كما يعرف البعض الزهد بأنه استصغار الدنيا ومحو آثارها من القلب والابتعاد عن كل ما تشتهيه النفس الإنسانية من الحياة الدنيوية التي هي حياة لهو وترف فهي حياة فانية فالزاهد لا يفرح بموجود من الدنيا ، ولا يتأسف على مفقود منها وقد قيل في الزهد أن تترك الدنيا ثم لا تبالي بمن أخذها والنظر إليها بعين الزوال لتصغر فيسهل عليك الإعراض عنها ، وقيل فيه أيضا: هو الاعتكاف بالعبادات والابتعاد عن لهو الدنيا وملذاتها و شهواتها و هذا ما تجسد في قول : ابن خفيف علامة الزهد قوله: من صدق في زهده أتته الدنيا راغمة ، فالزهد أن تزهد فيما سوى الله تعإلى كما يعرف بأنه الثقة بالله تعإلى مع حب الفقر لأن في اعتقاد الزهاد أن ذلك الفقر الذي يكون في دار الباطل سيتعوض في دار الحق. وقد جاء كذلك على لسان حسن البصري" الزهد في الدنيا أن تبغض أهلها و تبغض ما فيها.

. كما جاء أيضا في قول أبو عثمان: أن الله تعإلى يعطي الزاهد فوق ما يريد ، و يعطي الراغب دون ما يريد ويعطي المستقيم موافقه ما يريد [2].

كم جاء في قوله تعإلى : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾

[1] – ابن خلدون المقدمة، دار الفكر ، سورية (د ط) (د.ت) ص 497

[2] أبو الوفاء التفتزاني مدخل إلى التصوف الاسلامي ، ص 21.

و بعد بلوغ مرحلة الزهد يصبح الزاهد متصوفا ، وقد عرف التصوف بأنه مجاهدة النفس والتغلب عليها من خلال اجتناب كل ما تشتهيه النفس البشرية من ملذات وشهوات تعد في نظر الزهاد والمتصوفة ملذات دنيوية فانية بفناء الدنيا و بذلك يجب التعالي عليها واجتنابها عن طريق الاعتكاف بالعبادات والابتعاد عن لهوا الحياة الدنيوية والاعراض عن زخرفها وزينتها كما عرف التصوف بأنه الحب الإلهي المطلق الخالي من الدنس والخطايا فالإنسان لا يرتقي بأخلاقه وسلوكه إلا عن طريق السمو والتعالي عن الشهوات والملذات الدنيوية فهي عند المتصوفة مجرد شهوات تريدها النفس البشرية في الحياة الدنيوية التي هي مجرد حياة ليست أزلية بل فانية الوجود كذلك هي الشهوات والملذات تنقضي بقضاء الدنيا وزوالها فالمتصوفة يسعون لتحقيق السعادة الحقيقية في الآخرة ونيل الثواب و جزاء الاعتكاف على العبادات ، ويبقى مفهوم التصوف من بين المفاهيم المعلقة التي لم يتم تحديد مفهوم واحد لها بل وردت عدة مفاهيم و تعريفات[1].

ثانيا : الخطاب الشعري الصوفي:

لقد اتسم الشعر العربي عبر مسيرته بالعديد من الظواهر الفنية ، التي ساهمت في تجديد مضامينه وإثرائها، ومن أهم هاته الظواهر التصوف الذي يرجع س الاهتمام به لما يجمع بينه وبين الشعر من علاقات وروابط جدية[2].

– فالشعر والتصوف يربطها ارتباطا وثيقا ، إذ يعبر الصوفية عن صدق تجاربهم الروحية ومقاماتهم الوجدانية من خلال نظم قصائد وأشعار فكان الشعر وسيلة لتعبير عن كل ما يختلج داخل نفسه.

ويفسر أغلب الدارسين للخطاب الصوفي بأن التصوف أحد منجزات الفكر البشري التي تربطه بمختلف المعارف علاقات وطيدة ، فالباحث عاطف جودة نصر يرى أنه : هناك وشائج قرية تجمع بين التصوف والفن ، يشكل عام وبينه وبين الشعر بشكل خاص، هذه الوشائج تتمثل في أن كليهما يحيل إلى العاطفة والوجدان[3] .

إذن فالتصوف والشعر ينتميان لنسق واحد، فالنص الصوفي مثل النص الشعري يتميز بصدق التجربة لكونها وليدة معاناة، ذلك لأن الصوفي عاشق ينفس عن مشاعره، بكلمات تتسم بالرمزية التي تفرضها محا طبيعة

[1] – أبو بكر محمد الكلابذي : التعرف لمذهب أهل التصوف ، تحقيق عبد الرحيم محمود ، طه عبد الباقي سرور ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة 1960/138م ص 24 -25

[2] –ينظر: سعيد وسقطة ، الرمز الصوفي في الشعر العربية المعاصر، منشورات بونة لبحوث والدراسات 1429 – 2008م . ط م ص 137.

[3] – ينظر عاطف جودة نصر ، الرمز الشعري عند الصوفية ، دار الأندلس، الاسكندرية ط1 1983 ص 53.

المعاني الروحية ، فهو لا يعبر بلغة العموم ، بل يلجأ إلى لغة الخصوص، فالتجربتان الصوفية والشعرية مرتبطتان ، غير أن الشاعر قد لا يكون متصوف أو لا يلزمه أن يكون متصوفا ولكن الصوفي لا يبعد أن يكون شاعرا.[1]

فالشاعر الحقيقي حتى لو لم ينظم الكلمات التي تعيش بداخله ، فالشعر و نظم القصائد ما هو إلا وسيلة يعبر من خلالها عن حالاته الروحية ، أما التصوف فهو أعمق بكثير وهو الأصل.

بينما هنالك فئة أخرى ترى بأن العلاقة بين الشعر والتصوف هي علاقة تشابه فقط ومن أصحاب هذا الرأي "علي عشري زايد" وحجته في ذلك الرابط بين التجربة الشعرية والصوفية جد وثيق حيث يكمن هذا الرابط في ميل كل من الشاعر و المتصوف إلى الاتحاد بالوجود والامتزاج به، ودليله في ذلك هو أن المتصوفة والشعراء الكبار أمثال رابعة العدوية، العلاج ، ابن العربي، ابن الفارض و غيرهم ، كانوا يستعملون الشعر في التعبير عن معانيهم والكثير من جوانب تجربتهم الصوفية ، فهي لفة الخصوص ، لا لغة العموم ، لغة المجاز والرمز لا لغة التصريح والوضوح ، فما يعانيه الشاعر خلال عملية تجسيد ما اختمر في ذهنه من تساؤلات وأفكار يشبه ما يقوم به الصوفي في مقاماته وأحواله.[2]

ثالثا: نشأة النزعة الصوفية وإرهاصاتها بالجزائر.

عالج العديد من الباحثين الاوروبيين عوامل نشأة التصوف في المغرب الإسلامي حيث أرجع العديد منهم ذلك إلى تأثير المشرق على المغرب وتأثره هو كذلك به وحصرها الفي بروفنسال في تأثير المعتقدات الوثنية على البربر وحركة الجهاد ضد الاسترداد المسيحي و اعتبرها جاك كريت نتاج انتشار اطروحة أبي حامد الغزالي الصوفية الذي أعطى للتصوف مكانة مرموقة في الإسلام ، لكنه يضيف أن ذلك أيضا بسبب اتساع دائرة نفوذ الفقهاء و سيطرة الفقه على انشاط الفكري[3] .

و بالتالي فإن حركة التصوف التي ظهرت في المغرب الأوسط خلال القرنين 6 و7 الهجريين 12 و 13 الميلاديين لا يمكن اختزال عوامل نشأتها في هذه الآراء فقط لأن الظاهرة نتاج إرهاصات دينية واجتماعية

[1] – ينظر سعيد بوسقطة ، الرمز الصوفي في الشعر العربي المعاصر ، منشورات بونة للبحوث و الدراسات ص 137 .

[2] – سعيد بوسقطة ، المرجع نفسه، ص 138.

[3] – الطاهر بونابي التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و 7 الهجريين 12 و 13 الميلاديين نشأته تياراته رقم الابداع 1243-2004 المكنية الوطنية الطبع بشركة دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع عين مليلة ص 46

وسياسية واقتصادية تعود بجذورها إلى القرن الثالث الهجري و التاسع ميلادي تخمرت عبر قرون وتمخض عنها ميلاد الحركة الصوفية التي بدأت معالمها تتضح في القرن السادس الهجري الثاني عشر ميلادي بالنسبة للتصوف السني وبدايات القرن السابع الهجري الثالث عشر ميلادي بالنسبة لتيارات التصوف الفلسفي و يمكن ابراز هاته المراحل فيما يلي:

العوامل الدينية:

أ–حركة الزهد:

مثلما مهد للتصوف في المشرق بحركة زهدية قبل القرن الثاني للهجرة الثامن للميلادي، شهد المغرب الأوسط أيضا بداية من القرن الثاني إلى القرن الخامس للهجرة والثامن للميلادي ، إلى الحادي عشر الميلادي ، حركة زهدية برزت ملامحها الأولى في سياق الفتوحات الاسلامية لبلاد المغرب حيث استقر بتلمسان الزاهد وهب بن منية أحد كبار التابعين و الصلحاء، ولما توفي أصبح قبره محل زيارة التلمسانيين الذين أطلقوا على أحد كبار أبواب مدينتهم اسم "باب وهب " ولا شك أن هذا الزاهد يعتبر نموذجا لزهاد آخرين لم تحفظ لنا المصادر أسماؤهم في هذه الفترة .[1]

وانطلاقا من القرن الثالث الهجري و التاسع ميلادي برزت حركة الزهد بشكل واضح ، مثلها سيدي هيدور الذي اتخذ من جبل وهران مكانا يتعبد فيه نسب إليه بعد ذلك وبينما كان المغرب الأوسط يعيش حركة زهدية بطيئة كانت إفريقيا تشهد حركة زهدية واسعة ، تزعمها سحنون بن حبيب التنوخي (240 هـ / 854م) الذي نشر أتباعه من الزهاد في كافة أنحاء افريقيا و جلس لتكوينهم فأخذ عنه من زهاد المغرب الأوسط الشاعر بكر بن حماد بن سمك بن إسماعيل الزناتي (ت 295- 909 م) بالقيروان في مدة إقامته الثانية التي مكنته من الاحتكاك بزهاد آخرين مثل عون بن يوسف الخزاعي (ت 240هـ-854م) ومحمد بن رزين(ت 255هـ-869م) و خلالها كان يملي على طلبة القيروان قصائد في الزهد والموعظة وذكر الموت. ومن أشعاره في محاسبة النفس والتذكير بالموت قوله[2]:

[1] – المرجع السابق، ص 48.

[2] – سليمان بن عبدالله الباروني: الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضة، القسم الثاني، مطبعة الأزهار البارونية د ت ص 72.

لَقَدْ جَمَحَتْ نَفْسِي فَصَدَّتْ وَأَعْرَضَتْ وَقَدْ مَرَقَتْ نَفْسِي وَطَالَ مُرُوقُهَا

فَيَا أَسَفِي مِنْ جَنحِ لَيْلٍ يَقُودُهَا وَضَوْءِ نَهَارٍ لَا يَزَالُ يَسُوقُهَا

إلى مَشْهَدٍ لَا بُدَّ لِي مِنْ شُهُودِهِ وَجُرْعَةِ مَوْتٍ سَوْفَ أَذُوقُهَا

سَتَأْكُلُهَا الدُّودَانُ فِي بَاطِنِ الثَّرَى وَيَذْهَبُ عَنْهَا طِيبُهَا وَخَلُوقُهَا

وكذلك أشعاره في الزهد والتذكير بالموت قوله:[1]

المَوتُ أَجحَفَ بِالدُّنيَا فَخَرَّبَهَا وَفِعلُنَا فِعلُ قَومٍ يَمُوتُونَا

فالآنَ فَابكُوا فَقَدْ حَقَّ البُكَاءُ لَكُمْ فَالحَامِلُونَ لِعَرشِ اللهِ بَاكُونَا

مَاذَا عَسَى تَنفَعُ الدُّنيَا مَجْمَعَهَا لَوْ كَانَ جَمعٌ فِيهَا كَنزَ قَارُونَا

وهذه الأشعار دخلة المغرب الأوسط مع الزاهد قاسم بن عبد الرحمان بن محمد التاهرتي الذي تلقاها مباشرة عن شاعرها بالقيروان ولا نعلم وجه تأثيرها بالضبط خصوصا وأن حاملها قاسم بن عبد الرحمان هاجر إلى الأندلس سنة317هـ-930م يرافقه ابنه أبو الفضل أحمد بن قاسم 395 هـ/1003م واستقر بقرطبة ولا نعلم عن نشاطه إلا النزر القليل ، لأن المصادر انصرفت إلى تقصي أخبار ابنه الزاهد أبي الفضل الذي غطى بشهرته شهرة أبيه في الاندلس .[2]

وخلال القرن الرابع للهجرة / 10 م أخذت حركة الزهد تتوسع، إذ نقل عن أبي القاسم عبد الرحمان الهمذاني المعروف بالخراز أو بالوهراني (ت 411هـ- 1018 م) ملازمته بالقيروان للزاهد المتقشف أبي العباس تميم بن محمد التميمي منذ أربعة أعوام تأثر خلالها بالعلم وطريقته في الزهد القائمة على الورع والسخاء والمروءة ، كما قام أبو القاسم الوهراني برحلة طويلة استمرت عشرين سنة ، زار خلالها أشهر بيئات الزهد و التصوف كالبصرة وبغداد والحجاز ومصر وخرسان و نيسابور، ثم الأندلس وأقام فيه مدرسا فتخرج على يديه كثيرا من الطلبة .[3]

[1] – الدباغ: معالم الإيمان، ج2 ص283 وما بعدها الباروني: الأزهار الرياضية ص 72.

[2] – شمس الدين محمد الذهبي تذكرة الحفاظ ج 3، دار التراث العربي بيروت 1376هـ/1956م ص 8.

[3] – الطاهر بونابي التصوف في الجزائر خلال القرنين 6و7هـ /12و13م،نشأته و تياراته 2004م ص50.

ب- دور الرباط:

يكتشف دارس حركة الجهاد والمرابطة في المغرب الأوسط ظاهرتين بارزتين تتمثل الأولى في ندرة الرباط قبل القرن 5هـ/11م والثانية في وجود نشاط مكثف لحركة الجهاد البحري ضد النصارى قبل هذا القرن انطلاقا من مراسيه وتحديدا بالجزائر شهدت هي كذلك ظهور العديد من الرباطات التي كان لها الفضل في رد تلك الهجومات من قبل النصارى ، حيث بادر الفقيه الزاهد أبو عبد الملك مروان بن محمد الأندلسي (440 هـ - 1048 م) في أوائل القرن الخامس للهجرة 11م بتأسيس رباط بونة ، ومكث فيه يعلم ويصنف مؤلفات ، فتقاطر عليه الأندلسيون و طلاب العلم من إفريقيا ينهلون من علمه ، فذاع صيته وكراماته التي أطبقت الآفاق وإلى يومنا هذا لايزال موضع رباطه و مسجده محتفظا بتسمية سيدي بو مروان بمدينة عنابة.[1]

وإذا كانت الربط في السواحل الشرقية تكاد تعد على الأصابع فإن الوضع يختلف في باقي سواحل وأنحاء المغرب الأوسط ، فقد دلتنا إشارات البكري الخفيفة عن مجموعة من الربط منها رباط مدينة شرشال الذي كان الناس يتوافدون إليه بكثرة كل سنة، غير أنه أحجم عن ذكر أسباب هذا الحضور السنوي وأهدافه ، لكن الراجح أنه في شكل مؤتمر سنوي يتبرك فيه الناس بأهل هذه الربط . كما لم تكن الرباطات تقام فقط على السواحل بل وعلى ضفاف الأودية كذلك ، نذكر منها رباط أقيم على ضفاف وادي ماسين بندرومة وكان محل تبرك الناس.[2]

بهذا نرى أن الرباطات كان لها دور كبير في نشأة التصوف حيث اتجه أهله إلى ممارسة العبادة والذكر و كل ما يصلهم من فنون المعرفة بالله ، فاتخذ الرباط حجم ما يعرف بالرابطة وهي بناء صغير يعتكف فيه الشيخ الصوفي وحوله تلامذته المريدون ينهلون من عمله وطريقته في التصوف ، و يراقب أورادهم و مجاهداتهم التي تضفى بهم إلى التجرد من الدنيا وملذاتها ، وهذا الشكل من الرباطات كان منتشرا في بجاية خلال القرنين 6و7 هـ ، وبدورهم المريدون كانوا عند الانتهاء من الأخذ عن كبار مشايخ التصوف في كل من بجاية وتلمسان يعودون إلى مواطن إقامتهم في البوادي والأرياف ، ويقومون بإنشاء رابطات تقليدا لرابطات مشايخهم ، وبهذه الكيفية نشأ التصوف

[1] - المصدر السابق، 59.

[2] - المصدر نفسه 60.

وانتشر بالجزائر ، و بالتالي فإن الحركة الصوفية التي شهدها المغرب الأوسط في القرنين السادس والسابع الهجريين و 12 و 13 الميلاديين هي نتاج عمل الرباط والرابطة.[1]

ج–المصنفات الصوفية:

الثابت من الناحية التاريخية، أن التصوف استوسق واتضحت تياراته و مدراسه في المشرق بدءا من القرن الثاني للهجرة إلى غاية القرن السادس ، ونظرا للوحدة العقائدية بين مشرق العالم الإسلامي ومغربه ، بات التلاقح بينهما بديها، إذ عن طريق رحلات الحج و الرحلات العلمية دخلت مجموعة من المصنفات الصوفية المشرقية إلى المغرب العربي والأندلس ، وأبرزها وأكثرها تأثيرا في الحياة الصوفية نجد "الرسالة القشيرية" لأبي القاسم القشيري و"إحياء علوم الدين" لأبي حامد الغزالي [2].

فانتصب العلماء والصوفية لتدريسها بعد أن كانوا تلقوها عن مؤلفيها أو سمعوها في مجالس الدرس عن المشايخ و الصوفية . و بالجزائر نجد أسماء بارزة جاؤوا بتلك العلوم و المعارف و المؤلفات من المشرق العربي الكبير لنشرها بالمغرب لاسيما بالجزائر ، حيث شكلت تلك الحركة التي شهدها المغرب العربي دورا بارزا في نشر حركة التصوف ، حيث نجد أن عبد السلام التونسي الذي طاف مع عمه الزاهد المتقشف عبد العزيز التونسي في الأندلس وأخذ عنه التصوف ، نزل تلمسان سنة 486هـ/1093م واستقر بمنطقة الرهبان مؤسسا رابطة ضمت تلامذته الذين أخذ يلقنهم رعاية المحاسبي ويدعوهم في أوائل القرنين 6هـ و 12م إلى قراءة إحياء علوم الدين، حيث أفلح في تحسيس الوسط الفكري في تلمسان بأهمية الإحياء وقيمة أفكاره الصوفية، وبهذا نرجح على أن الإحياء قد ظهر بالجزائر على يد العائدين سواءا من المشرق العربي أو الأندلس حاملين معهم علوما كثيرة عملوا على نشرها بالجزائر لا سيما تلك المصنفات الصوفية المشرقية[3].

رابعا: أشهر أعلام النزعة الصوفية بالجزائر:

لقد شهدت الجزائر منذ ظهور التصوف بها عددا من مريدي النزعة الصوفية والذين بدورهم أصبحوا أسماء بارزة وأعلاما للتصوف بالجزائر وبكامل التراب الوطني لا سيما أن أغلبهم كانوا مشايخ للطرق الصوفية حيث قاموا

[1] – الطاهر بونابي التصوف في الجزائر خلال القرنين 6, 7 و 12 و 13 م نشأته وتياراته، ص 62.

[2] – المصدر نفسه، من 63-62.

[3] – الطاهر بونابي، المرجع نفسه، ص 64-68-69..

بتأسيس هاته الطرق التي تعمل جاهدة لنشر تعاليم الدين الإسلامي والتعليم باللغة العربية وحثهم على التمسك بالجد و الاستقامة والسير على نهج الرسول صلى الله عليه وسلم وأتباعه من الصحابة رضي الله عنهم.

وبهذا الصدد نذكر أبرز أعلام النزعة الصوفية بالجزائر:

الشيخ عبد القادر الجيلاني وهو مؤسس الطريقة القادرية التي أشرنا إلى ذكرها سابقا ، وقد كان قدوم ابراهيم بن عبد القادر الجيلاني من المشرق إلى المغرب الأقصى ثم انتقاله إلى الجزائر ليستقر بالأوراس حيث أسس الزاوية القادرية، كان ذلك من بين العوامل التي ساهمت في نشر الطريقة القادرية في شرق البلاد وغربها على الخصوص حيث يوجد ما يربوا على المائتي زاوية تخلد اسم الشيخ عبد القادر الجيلاني[1] .

الشيخ محمد بن عبد الرحمان القشوطي الإدريسي الحسن الأزهري وهو مؤسس الطريقة الرحمانية التي جاء بها من المشرق حيث كان يدرس أين تتلمذ بجامع الأزهر الشريف بمصر على أيدي مجموعة من كبار أعلام مصر من الفقهاء والمحدثين ، وبعد عودته إلى أرض الوطن قام بتأسيس زاويته في مسقط رأسه بآيت اسماعيل[2].

الشيخ أبو العباس أحمد بن المختار بن أحمد التيجاني مؤسس الطريقة التيجانية بقصر بوسمغول جنوب البيض . ولد الشيخ مؤسس الطريقة التيجانية في عين ماضي الواقعة بالقرب من مدينة الأغواط.[3]

-الشيخ محمد بن عبد الرحمان بن أحمد بن أبي زيان الإدريسي الحسني مؤسسة الطريقة الزيانية، ولد الشيخ في قصر من قصور تاغيت التي يسكنها بنو كوبي على الضفة اليمنى من نهر زوزفافة سنة 1062هـ الموافق ل 1650 م .[4]

الشيخ يوسف الحنصالي مؤسس الطريقة الحنصالية في نواحي قسنطينة وتعتبر هذه الطريقة فرعا من الطريقة الشاذلية ولها علاقة بالرحمانية.[5]

---

[1]- صلاح مؤيد العقبي الطرق، الصوفية بالجزائر تاريخها ونشاطها ، انشر دار البراق 2015/10/17م، بيروت، لبنان ، د ط تاريخ الإصدار 2002/01/01م، ص 146.

[2]- نفس المرجع ، ص155 – 156.

[3] - المرجع نفسه ، ص 175.

[4] - المرجع نفسه، ص 206.

[5] - المرجع نفسه ، ص 235 .

الشيخ محمد بن عزوز البرجي و هو شيخ ومؤسس الطريقة العزوزية التي انتشرت في الجنوب الجزائري بفضل أبنائها الداعين إليها.[1]

الشيخ أحمد بن مصطفى العلاوي المستغانمي رحمه الله شيخ ومؤسس الطريقة العلاوية بمستغانم التي تعاقب عن رئاستها كذلك:

عدة بن تونس، محمد المهدي ، عدلان خالد.[2]

خامسا : الطرق والزوايا الصوفية بالجزائر تاريخها و شاطها:

I-الزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها:

كانت الزوايا بتعاليمها القرآنية حصنا منيعا للشخصية الوطنية ومدرسة حافظت قدر الإمكان على قيم الشعب الجزائري وأفكاره وأصالته وقاومت الوجود الإستعماري بتعليمها العربي الإسلامي رغم غلبة الدروشة على بعضها ومهادنتها الاستعمار ، وإذا كان الاستعمار قد انتصر عسكريا و استولى على الجزائر واحتل مدنها وقراها وانهزمت أمامه سياسيا ، فإنها لم تنهزم روحيا و حافظت على قلبها حيا قويا سليما من المرض والوباء والوهن الذي يصيب القلب ويجعله فريسة لليأس والقنوط، وهذا ما حير الإستعمار الفرنسي وأقلقه وجعله غير مطمئن على نفسه ومصيره في الجزائر ومستقبله بين أبناء الإسلام في إفريقيا لأن الجزائر قلب إفريقيا[3].

وللزوايا رسالة سامية ومهمة نبيلة وعمل شريف يتمثل في المحافظة على الإسلام والعربية في هذه الديار والحرص على صيانه عقيدة المسلم وحمايتها من الزيغ والإنحراف بواسطة نشر الوعي الديني في أوساط الجماهير في المدن والقرى والجبال، والتركيز على تعليم القرآن الكريم وتحفيظه والعناية بدراسة العلوم الإسلامية واللغوية، بالإضافة إلى ما تقوم به من خدمات إجتماعية لإطعام الفقراء والمساكين وابن السبيل ومساعدة المحتاجين وإصلاح ذات البين وغيرها من الخدمات المختلفة[4] .

[1] - المرجع السابق ص 238 .

[2] - المرجع نفسه، ص273.

[3] - المرجع نفسه، ص 299.

[4] - المرجع نفسه، ص 301.

II-الزاوية والرباط:

يذهب الكثير من الباحثين والمؤرخين إلى أن الزاوية كانت في الأصل رباطا تحول مع مرور الزمن إلى زاوية، ومن المعروف لدى الخاصة والعامة أن للرباط في تاريخ الإسلام مكانة مقدسة، إذ هو الثكنة التي تحمي الثغور الإسلامية من أي خطر خارجي للحملات الصليبية على أرض الإسلام ،و محاولات الغزو الإستعمارية المتكررة ضده أوطان المسلمين. وبذلك كان الرباط وقتئذ ملتقى الرجال وحتى النساء الذين طلقوا الدنيا ووقفوا حياتهم للعبادة والذكر في هذه الرباطات التي كانوا لا يبرحونها إلا للجهاد في سبيل الله وصد عدو طامع في بلاد الإسلام ، وقد عرفت سواحل مغربنا العربي الكبير خلال القرنين الخامس والسادس الهجري عدة رباطات بعد أن أصبحت عرضة للغارات والهجومات ونذكر من تلك الرباطات : رباط المنستير، وصفاقص وبنزرت وبونة ، وشرشال ، ورباط الفتح . وقد نشطت حركة الرباطات وزادت قوتها وأصبحت بعد تطورها مراكز ينطلق منها الدعاة إلى الإسلام في القارة الإفريقية يبشرون به ويدعون إليه وبذلك كانت تلك رباطات عظيمة الأثر في خدمة الإسلام والمسلمين.[1]

وقد تحولت تلك الرباطات إلى زوايا بعد ما كان لها دور كبير في الجهاد الإسلامي وقد غادرها حينئذ بعض المتصوفة لإنشاء مراكز شبيهة لها لنشر العلم ، ومحاربة الجهل، وإيواء المرابطين المتفرغين للعبادة ، تكون مبعثا للأشعة أنوار الشريعة والطريقة فكان لهم ما أرادوا ومن بين الأسباب التي أوحت بفكرة إنشاء الزاوية رغبة الشيخ الصوفي العربي في الإجتماع بمريديه وتلاميذه، وهو ما لا يتيسر له في الرباط حيث توجد مختلف شرائح المجتمع.[2]

-لقد أصبحت تلك الزوايا بعد تأسيسها تسير من طرف شيوخ الصوفية أو بعبارة أدق المرابطين[3] الذي لا يزالون إلى يومنا هذا يعرفون بهذا الاسم وهو اسم شرعي مشتق أصلا من الرباط . وقد حظي هؤلاء المرابطون في أواسط الجماهير الشعبية بالاحترام والتقدير حتى أنهم كانوا يحبونهم كحب آبائهم وأبنائهم نظرا لما كانوا يقومون به من نشر العلم ، ومحاربة للجهل وإصلاح بين الناس و نشر آداب الإسلام وأخلاقه من رحمة وأخوة وتسامح وتعاون وتضامن.[4]

---

[1] المرجع السابق، ص 322.

[2] - المرجع نفسه، ص 324.

[3] - أنظر الطبري ، جامع البيان عن تأويل القرآن ، مطبعة مصطفى الباجي ، ط 3 ،ج4 ،ص 222-223.

[4] - المرجع السابق، ص 325 .

إن الزوايا كانت عبر تاريخها الطويل قواعد روحية استطاعت بما لها من قوة ونفوذ أن تلعب دورا هاما في أحرج فترات التاريخ حفاظا على أعلى مقومات الشخصية الوطنية اللغة العربية والإسلام، وكانت محاكم إسلامية يلجأ إليه المتخاصمون فتحل قضاياهم على هدي الكتاب والسنة فيخرجون منها إخوة متحابين ، و يقصدها الطلاب من كل حدب وصوب ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم . وقد حافظت على طريقتها التقليدية في التعليم إلى يومنا هذا، فهي تعتمد على نظام يتميز بأقصى درجات الاقتصاد والتقشف والبساطة ، فالطلبة لا يزالون يجلسون على حصائر صنعت من الحلفاء ، وفي أحسن الحالات على فرش صنعت من الصوف والوبر. أما الوسائل البيداغوجية التي لا تزال تستعمل فهي اللوحة للكتابة وهي مصنوعة من الخشب ، وقطعة من القصب لصنع القلم أما الحبر ما يسمى بالصمغ وهو عبارة عن الصوف المحروقة مع قليل من الماء ولا ننسى ما يسمى بالصلصال وهو نوع من الطين يستعمل بعد محو اللوحة بغرض تبييضها ويستعمل كل ذلك لحفظ القرآن الكريم الذي يعتبر مادة أساسية في الزوايا لا يمكن التخلي عنها أو التفريط فيها.[1]

أ–تاريخها:

لقد أخذت الزوايا بالظهور بمغربنا العربي الكبير الاسلامي ابتداءا من القرن الرابع الهجري كما جاء في بعض الروايات ، وفي الجزائر تحديدا تزايد عدد الزوايا على مر السنين و انتشرت انتشارا واضحا ، فعمت كل جهات البلاد وخاصة غربها ووسطها ، ففي الناحية الغربية يرجح الدكتور سعد الله سبب كثرتها إلى كثرة زوايا المرابطين في المغرب الأقصى و حجاج و رحالة المغرب الذين كانوا يعبرون الجزائر و يغذون فكرة المرابطة وينشرون مبادئ زواياهم و شيوخهم [2].

كما انتشرت الزوايا في منطقة القبائل الكبرى والصغرى انتشارا واسعا، لا سيما بعد الاحتلال الاسباني لبجاية ، وخروج الكثير من أهلها خاصة أولئك اللاجئين الأندلسيين ، فقد قام هؤلاء بتأسيس الزوايا في بني وغليس وبني يعلى ، و غيرها من الأماكن وقد بلغ عدد الزوايا بمنطقة القبائل حوالي 60 زاوية حسب ما أخبرنا بعض شيوخ الناحية.

[1] – المرجع السابق ، ص 327.

[2] – تاريخ الجزائر الثقافي للدكتور سعد الله ، درا البصائر للنشر والتوزيع، طبعة خاصة ت 1435هـ.

وفي العهدين العثماني والفرنسي قويت شوكة الزوايا ، وعظم نفوذها الروحي ، واتسعت دائرة عملها وتعددت أنشطتها ، وصار الحكام يتقربون منها ويطلبون ودها ويتحالفون معها لما كان يتمتع به شيوخها من شعبية في أواسط الجماهير و ما كانوا يحظون به من سمعة طيبة، وتقدير واحترام، وما كانوا يتصفون به من استقامة وتقوى ، وصلاح، وعزة النفس، وترفع عن شهوات الحياة ، وعزوف عن متعها وزخارفها[1]. للزوايا نظامها الداخلي ، وقوانينها المحكمة التي يسهر الشيخ والطلبة على تطبيقها، مثلها في ذلك مثل سائر المؤسسات التعليمية، وفي حالة الإخلال بتلك القوانين ، كان لعلماء الجهة المتخرجين من الزوايا الحق في التدخل السريع لفرض النظام وجعل حد لكل فوضى قد تترتب عن ذلك[2].

ليس للزوايا في القطر الجزائري من مورد لتيسيرها سوى تلك الأوقاف والأحباس كالأراضي و غابات الزيتون بمنطقة القبائل و غابات النخيل بالجنوب و العقارات وغيرها ، أو الهبات والتبرعات التي يقدمها المحسنون من أبناء الشعب لهذه الزوايا.

لقد بلغ عدد الزوايا بالقطر الجزائري حسب آخر الإحصائيات حوالي 500 زاوية غير أن أغلبها تعرض للهدم والتخريب أثناء حرب التحرير المظفرة نتيجة مواقف شيوخها المؤيدة والمدعمة للثورة وتحول هاته الزوايا إلى ملاجئ للمجاهدين، ومراكز لاجتماعاتهم، و إمدادهم بكل ما يحتاجون إليه[3].

وقد تعرض شيوخها للسجن والنفي والتشريد ، ومنهم من استشهد ولا تزال زواياهم تنتظر إلى يومنا هذا يد الاصلاح والترميم تمتد إليها لتستعيد نشاطها، وتقوم برسالتها في نشر العلم والثقافة الإسلامية الصحيحة [4].

ب – نشاطها السياسي :

لقد كثر إقبال الناس على الزوايا وذلك لما تقدمه من دور عظيم في القضاء على الجهل والأمية ونشر العلم و التعليم العربي الاسلامي لا سيما إبان الاستعمار الفرنسي الذي حاول بكل الأشكال والأساليب القضاء على مقومات الهوية الوطنية للشعب الجزائري لاسيما اللغة العربية لغة الدين والقرآن الكريم من خلال محاولته فرنسة

[1] – المرجع السابق، ص 306.
[2] – المرجع نفسه ، ص 306.
[3] – المرجع نفسه، ص 308 .
[4] – المرجع نفسه، ص 308 .

الجزائريين وأبنائهم بنشر التعليم باللغة الفرنسية لغة الاحتلال والاستعمار إلا أن الزوايا الجزائرية إبان تلك الفترة لعبت دورا هاما بإخراج جيل مثقف و متعلم يجيد القراءة والكتابة ، جيل محافظ على لغة دنيه جيل ناطق حافظ القرآن الكريم.

و مما يؤكد دور الزوايا العظيم في مجال التعليم ، ما قاله العلامة المصلح الأستاذ باعزيز بن عمر رحمه الله في محاضرة ألقاها بنادي الترقي بالجزائر العاصمة قال بعد أن قسم الزوايا إلى مدارس ابتدائية وثانوية ومعاهد علمية أسست لقراءة القرآن و ما إليه من العلوم الموصلة إلى استخراج كنوز أسراره ومعانيه ويضيف قائلاً : "ونحن لم نعرف ببلاد الزواوة مدرسة غير هذه الزوايا فتاريخها في الجملة يرجع إلى عصر قديم وهو ازدهار الإسلام بشمال إفريقيا عموما و بالزواوة خصوصا، و إليها يعود الفضل في إعلاء شأن الإسلام وحفظه بهذه البلاد لا إلى شيء آخر.[1]

وبفضل جهودها الجبارة، ونشاطها المستمر في مختلف جهات الوطن ظل التعليم العربي الإسلامي قائما رغم ضعف مستواه وظل إقبال الجزائريين على تلك الزوايا كبيرا حتى جاوز عدد الطلاب في بعضها الألف طالب.[2]

و قد ظهرت الزوايا في المدن الكبرى كالجزائر العاصمة ووهران وتلمسان و قسنطينة و من بين الزوايا الهامة في مدينة الجزائر نذكر زاوية سيدي أحمد ين عبد الله الزواوي من أبناء القرن التاسع الهجري وهو صاحب المنظومة الجزائرية ، و كانت زاويته تشمل على بيوت العلماء ، و قد أسست هاته الزاوية سنة 1623هـ لتحفيظ القرآن وتعليم الكبار مع مصلى لإقامة الصلوات الخمس وكان يشرف عليها الشيخ محمد الآبلي وبقيت هذه الزاوية إلى سنة 1743م وهي تمارس نشاطها بالإضافة إلى زوايا أخرى كانت تزخر بها مدينة الجزائر مثل زاوية سيدي عبد القادر الجيلاني و زاوية سيدي محمد الشريف وزاوية والي دادة وغيرها [3].

وقد بلغ عدد الزوايا بمدينة الجزائر عقب الاحتلال الفرنسي 12 زاوية تعرض أغلبها للهدم والتخريب تحت غطاء توسيع الطرقات تارة ، وإقامة مصالح عمومية تارة أخرى ، كما قال الأستاذ المحقق نور الدين عبد القادر

[1] – المرجع السابق، ص 311.
[2] – المرجع نفسه، ص 311.
[3] – المرجع نفسه، ص 312.

رحمه الله في كتابه القيم "صفحات من تاريخ مدينة الجزائر". ومن تلك الزوايا التي تعرضت للهدم والحيازة أو التحويل نذكر في عاصمة الجزائر:

- زاوية القشاش، حولتها سلطات الاحتلال العسكرية إلى مصلحة من مصالحها.

-زاوية سيدي الجدي، الزاوية يوب ، زاوية الشرفة : طبق على هذه الزوايا الثلاث.

قانون الحيازة من طرف الغزاة لهدمها والبناء على أنقاضها[1].

أما بالنسبة للغرب الجزائري فقد شهد هو أيضا ظهور العديد من الزوايا لما كان يعج به غرب البلاد بالعلماء والصالحين الذين قاموا بدورهم بتأسيس و إنشاء زوايا لتحفيظ القرآن الكريم وتعليم العلوم الدينية و اللغوية ، وقد كثر عدد الزوايا بالغرب الجزائري ويرجح سبب ذلك إلى قربه وعلاقته بالمغرب الأقصى الشقيق الذي تكثر فيه الزوايا ويكثر فيه عدد المرابطين كالدكتور سعد الله.[2]

سادسا/الطرق الصوفية بالجزائر تاريخها و نشاطها:

و بالعودة إلى الحديث عن تاريخ الطرق الصوفية التي ظهرت في أواخر القرن الثالث الهجري بأنظمتها وطقوسها ، ومن الوظائف التي لها علاقة بالتنظيم الهيكلي للطرق الصوفية ، والتي تمثل أهم جزء فيه هي وظيفة شيخ الشيوخ التي لقب بها اسماعيل بن أبي سعد المتوفي سنة 531هـ كما لقب به ابنه من بعده.[3]

و بقي هذا اللقب أو الوظيفة شيخ الشيوخ : 659هـ حين أطلق على شيخه الخانقاه (الزاوية) الصلاحية في عقود الأيوبيين والممالك كما انتشر هذا اللقب وأطلق على الكثير ممن تولوا هذه الوظيفة في دمشق وهذا في عهد السلطان صلاح الدين الأيوبي رحمه الله.

ويذهب المؤرخ الجزائري الشيخ عبد الرحمان الجيلالي إلى أن إنتشار الطرق الصوفية و تعددها وتفرعها إلى فروع كثيرة يعود إلى القرن 8هـ وقد فاق عددها الثمانين طريقة ، وقد تحدث الشيخ حسن بن علي الفجيجي في

[1] - المرجع السابق، ص 313.
[2]- المرجع نفسه، ص 316.
[3]- المرجع نفسه ، ص 131 .

رسالة له مخطوطة على أربعين طريقة ، وذكر في رسالته هذه ما يتميز به أهل كل طريقة، وتقل عنه ذلك تلميذه أبو سالم العياشي الرحالة المغربي المعروف في رحلته.[1]

وفي الجزائر توجد من بين هذا العدد المذكور للطرق الصوفية : الرحمانية وهي أكثر تلك الطرق إنتشارا ، بالإضافة إلى السنوسية والتيجانية والطيبية ، والدرقاوية والعيساوية ، العمارية ، الحنصالية ، الزيانية وغيرها كثير ، وكل هذه الطرق ولدت من رحم طريقتين أساسيتين إحداهما مشرقية وهي الطريقة القادرية ، والأخرى مغربية وهي الطريقة الشاذلية. وسنتعرض بإيجاز لكل واحدة من هذه الطرق على أن يفصل الحديث عن الطريقة العلاوية لإرتباطها بشاعرنا "أحمد بن مصطفى العلاوي المستغانمي" وتجلي النزعة الصوفية عنده.

و قبل ذلك نشير إلى أنه باستثناء الطريقتين القادرية والشاذلية اللتين كانتا موجودتين قبل قدوم العثمانيين إلى الجزائر فإن الطرق الصوفية الأخرى أخذت بعد مجيئهم في التعدد والتكاثر حتى بلغ عددها 23 طريقة تضم 189 ،290 من المريدين والإخوان . ويقوم تيسيرها و الإشراف عليها 57 شيخا بمساعدة حوالي 6 آلاف من مقدم ووكيل وعامل يقومون يشتى أنواع الخدمات .[2]

وتمتلك هذه الطرق 349 زاوية يتبرع الإخوان لها سنويا بمبلغ سبعة ملايين من الفرنكات، وأكثر الطرق الصوفية و أوسعها هي الطريقة الرحمانية التي ينتمي إليها 156000من المريدين بينهم 13 ألف امرأة[3].

و بالجزائر تعد الطريقة الرحمانية من أكثر الطرق إتباعا، والتي بدورها تتفرع إلى عدة فروع وتمتد نفوذها إلى جميع أنحاء القطر وبيوتها الكبرى منفصلة بعضها عن بعض، ولعل المقصود هنا "بالبيوت" الزوايا.

و يلي الرحمانية في الأهمية التيجانية نسبة إلى الشيخ سيدي أحمد التيجاني التي يوجد مركزها في عين ماضي بالقرب من مدينة الأغواط وينتشر أتباعها البالغ عددهم 26.000في الصحراء وفي جنوب و هران ،

ويليها : [4]

[1]– نفلا عن تاريخ الجزائر العام، عبد الرحمان الجيلالي.

[2] – المرجع السابق، ص 132.

[3] – نقلا عن تاريخ الجزائر العام – عبد الرحمان الجيلالي .

[4] – المرجع السابق، ص 134.

القادرية والتي تضم 24,000 عضوا.

الطيبية التي لا تزال تنشط في الغرب الجزائري وتضم 22,000 عضوا والتي شيخها شريف وزان بالمغرب الأقصي.

الشيخية نسبة لأولاد سيدي الشيخ والتي تضم 10.000.

الدرقاوية والتي يبلغ أتباءها 9.000 عضوا ولها يد في جميع الثورات التي نشبت في البلاد ضد الأتراك و الفرنسيين.

إن للطرق الصوفية تاريخا يزخر بالبطولات والأمجاد ، و هذا رغم انحراف بعض المنتسبين إليها أو المنتسبين إليها ، أو المحسوبين عليها الذين لم يلتزموا ولم يلزموا أنفسهم بالسير قدما في النهج القويم الذي سار عليه أسلافهم رضوان الله عليهم ، بل غرتهم الحياة الدنيا وغرهم بالله الغرور فحرفوا و بدلوا و غيروا فشوهوا بذلك وجه الطرق الصوفية المشرق ، تلك الطرق التي اعترف لها بالفضل المخلصون من المؤرخين والباحثين الذين لم يكن لهم من غرض سوى خدمة العلم والحقيقة.[1]

أ-الطريقة القادرية:

وهي أقدم الطرق الصوفية على الإطلاق تأسيسا وأولها ظهورا على مستوى العالم الإسلامي وأقدمها وجودا في الجزائر ، حيث وجدت أرضا خصبة استطاعت أن تنمو فيها وتزدهر خصوصا أثناء الحكم العثماني وهي تنتسب إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني نسبة إلى جيلان من بلاد فارس التي ولد بها سنة 470هـ 1077م ومنها انتقل إلى بغداد والتي كانت تعج بكبار الفقهاء وأعلام المحدثين كما كانت محط أنظار طلاب الدنيا والدين.[2]

وفيها تتلمذ وتخرج على يد كبار شيوخها و متصوفيها فكان علما في الفقه والحديث فانتصب للوعظ والإرشاد ، و تصدى للتدريس والتأليف وترك للثقافة العربية الإسلامية ثروة لا يستهان بها من الكتب والرسائل نذكر منها:

الفتح الرباني ، الغنيمة لطالب الحق ، فتوح الغيب ، الفيوضات الربانية و غيرها كثير...

[1] - المرجع السابق، ص 138.

[2] - المرجع نفسه ، ص 143.

وكان للطريقة القادرية الدور العظيم في حمل راية الجهاد والمقاومة دفاعا عن الإسلام والمسلمين والتصدي للإستعمار بكل شجاعة وبجميع أنواع الأسلحة ، وقد تزعم شيوخها ومقدموها الكثير من الثورات التي اندلعت في بلاد العروبة والإسلام ضد الغزاة المحتلين، وغداة الاحتلال الفرنسي للجزائر استطاعت هذه الطريقة أن تندمج في تيار الحركة الوطنية وتستعمل نفوذهما الروحي للدعوة إلى الجهاد ضد الفرنسيين.

ومن أبرز مقدميها الذين كان لهم في ساح الوغى ومعارك الجهاد دور يذكر المجاهد الشيخ محي الدين وابنه البطل الثائر الأمير عبد القادر طيب الله ثراه الذي قاوم الاحتلال الفرنسي وقاد الكفاح المسلح مدة سبعة عشرة سنة كاملة.

أما عن دخول هذه الطريقة إلى الجزائر فيعود إلى الشيخ سيدي أبي مدين شعيب دفين تلمسان والمتوفي سنة 594هـ فهو الذي أدخلها بعد أن تتلمذ على يد شيخها وأخذ عنه التصوف والبسه الخرقة كما هو معمول به عند المتصوفة وكان ذلك بعد عودته من البقاع المقدسة حيث أدى فريضة الحج.[1]

كما كان قدوم ابراهيم بن عبد القادر الجيلاني من المشرق إلى المغرب الأقصى ثم انتقاله إلى الجزائر ليستقر بالأوراس حيث أسس الزاوية القادرية ببلدة منعة كان ذلك من العوامل التي ساعدت على نشر الطريقة القادرية في شرق البلاد و غربها على الخصوص حيث يوجد ما يربوا على المائتي زاوية تخلد اسم الشيخ عبد القادر الجيلاني.[2]

والزاوية القادرية بمنعة في الأوراس والتي تشرف عليها أسرة ابن عباس المعروف في تلك النواحي هي التي لجأ إليها الحاج أحمد باي سنة 1744م بعد سقوط مدينة قسنطينة في أيدي جيوش الإحتلال الإستعماري كما لجأ إليها الكثير من المجاهدين خلال الثورات التي قامت بالأوراس الأشم[3] .

وهناك بالغرب الجزائري و بالضبط بالقرب من مدنية معسكر توجد زاوية القيطنة التي أسسها الشيخ مصطفى الغريسي جد الأمير عبد القادر حوالي 1200هـ 1785م و ذلك قبل وفاته وهو عائد من أداء فريضة الحج من عين الغزال بالقطر السلبي ، فخلفه فيها ولده الشيخ محي الدين وكان كأسلافه من العلماء الأعلام الذين يرجع إليهم في حل مشكلات الأحكام وبقي بها إلى سنة 1250هـ.

[1] – المرجع السابق، ص 145.
[2] – المرجع نفسه، ص 145.
[3] – المرجع نفسه، ص 145.

و من شيوخها الشيخ أحمد بن إدريس الفاسي الذي كان على وفاق في الرأي و التفكير مع الشيخ السنوسي و القادرية ثلاث فرق :

الأولى: القادرية البكائية و هي منتشرة في تمبوكتو.

الثانية : القادرية التي توجد في بعض واحات الصحراء الغربية.[1]

الثالثة : القادرية الذين في ولاته وقد انتشروا في السودان الغربي و وصلوا سيراليون.

ويمتاز أتباع هذه الطريقة بالتسامح متأثرين بأقوال شيخ الطريقة وتعاليمه و مواعظه مثل قوله لهم : ﴿اتَّبِعُوا وَلَا تَبْتَدِعُوا، وَأَطِيعُوا وَلَا تَخَافُوا، وَاصْبِرُوا وَلَا تَيْأَسُوا، وَاجْتَمِعُوا عَلَى الذِّكْرِ وَلَا تَتَفَرَّقُوا، وَتَطَهَّرُوا مِنَ الذُّنُوبِ، وَلَا تَتَنَاطَحُوا، وَعَنْ بَابِ مَوْلَاكُمْ فَلَا تَبْرَحُوا﴾.[2]

ومن أقواله أيضا: إِذَا وَجَدْتَ فِي قَلْبِكَ بُغْضَ شَخْصٍ أَوْ حُبَّهُ، فَاعْرِضْ أَعْمَالَهُ عَلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ؛ فَإِنْ كَانَتْ مَحْبُوبَةً فِيهِمَا، فَأَحِبَّهُ، وَإِنْ كَانَتْ مَكْرُوهَةً، فَأَكْرَهْهُ، لِئَلَّا تُحِبَّهُ بِهَوَاكَ، وَتُبْغِضَهُ بِهَوَاكَ." [3]

توفي الشيخ عبد القادر الجيلاني سنة 561هـ / 1166م وضريحه مشهور ببغداد يقصده الزوار من كل جهات العالم رحمه الله وطيب ثراه.

ب– الطريقة الشاذلية:

مؤسس هذه الطريقة هو الشيخ أبو الحسن علي ابن عبد الله بن عبد الجبار الشاذلي المولود بالمغرب الأقصى في بلدة غمارة القريبة من مدينة تبسة سنة 593 هـ و في مسقط رأسه أكب على حفظ القرآن الكريم و دراسته للعلوم الدينية واللغوية التي برع فيها براعة كبيرة ، ولكن من أبرز شيوخه الذين أخذ عنهم علوم الظاهر والباطن الصوفي الكبير الشيخ عبد السلام بن مشيش الذي يعد من أ لأبي المتصوفة بالمغرب الأقصى[4].

وانطلقت الطريقة الشاذلية من مركزها المذكور تنتشر انتشارا واسعا في الجزائر ، واستطاعت بمرونة تعاليمها، واعتدال نهجها أن تؤثر تأثيرا ملحوظا في أكثر الطرق الصوفية التي ظهرت بعد القرن السابع عشر الميلادي ، وتفرعت عنها عدة طرق كالدرقاوية و الطيبية واليوسفية والزيانية و الزروقية والشيخية كما استطاعت أن تستقطب

[1] – المرجع السابق، ص 147.

[2] – المرجع نفسه، ص 147.

[3] – المرجع نفسه، ص 148.

[4] – المرجع نفسه، ص 149 .

إليها الكثير من كبار العلماء الذين أصبحوا ينتسبون إليها أمثال الشيخ عبد الرحمان الثعالبي وأحمد بن يوسف الملياني ، و ابراهيم التازي و غيرهم ممن كتبوا عنها و خصوصا بالتأليف والترجمة لأعلامها .[1]

وللطريقة الشاذلية كغيرها من الطرق الأخرى دورها في الجهاد في سبيل الله ، وحرب المعتدين على الإسلام والمسلمين من الحاقدين الصليبيين وتعاليم الشاذلي لمريديه وأتباعه مليئة بالحث على الجهاد الذي أصبح صفة لازمة لشيوخ الطرق الصوفية وأتباعها ومن أقواله في هذا الموضوع : لا بد للمريد من الجهاد ، لا بد من جهاد العدو، ومن أراد أن لا يكون للشيطان عليه سبيل فليصحح الإيمان والتوكل ، والعبودية لله وليستعذ به سبحانه [2]»

هكذا كان شيوخ التصوف ورجاله في كل عصر ومصر مضرب الأمثال في الحركة والمقاومة والجهاد في سبيل المصلحة العليا للإسلام والمسلمين ولم يكونوا كما يظنهم البعض خاملين جامدين كسإلى متزمتين.

وقد تقرعت عن هذه الطريقة ، الطريقة العلاوية الخاصة بمؤسسها و شاعرنا الشيخ أحمد بن مصطفى العلاوي والتي سيفصل الحديث عنها فيما يأتي.

الطريقة العلاوية مفهومها أسسها وخصائصها:

1/ مفهومها:

أسست هذه الطريقة من طرف الشيخ أحمد بن مصطفى العلاوي المستغانمي رحمه الله سنة 1333 هـ الموافق ل 1914م في مدينة مستغانم المقر المركزي للطريقة العلاوية والزاوية الأم.

والطريقة العلاوية هي أحدث الطرق الصوفية عهدا ، وآخرها تأسيسا ، وأكثرها دقة وتنظيما ، فقد استعملت منذ تأسيسها أحدث وسائل الاتصال العصرية ، وأحسن الأساليب النظامية في نشر العلم ،و هداية الناس، والدعوة إلى الإسلام وبث تعاليم الطريقة ومبادئها كإصدار الجرائد ، وطبع الكتب ، و تنظيم الملتقيات وإلقاء المحاضرات وإنشاء النوادي والجمعيات للدفاع عن الإسلام والدعوة إليه داخل الوطن وخارجه .[3]

[1]- المرجع السابق، ص 150.

[2]- المرجع نفسه، ص 152.

[3]- المرجع نفسه، ص 263.

و بالعودة إلى الحديث عن الطريقة العلاوية التي عرفت منذ أن أسسها المغفور له الشيخ أحمد العلاوي انتشار كبيرا في جميع أنحاء القطر الجزائري ، كما استطاعت أن تتخطى حدود الوطن لتحقق انتشارا أكثر في مناطق وجهات مختلفة من العالم : أوروبا ، أمريكا، أسيا وإفريقيا حيث قامت بمجهود كبير في الدعوة إلى الإسلام ونشر مبادئه وتعاليمه السامية في أوساط سكان تلك المناطق.

ومما يسجل للطريقة العلاوية تأسيسها لكثير من الزوايا داخل الوطن وخارجه وما قامت به هذه الزوايا بالإضافة إلى وظيفتها التعبدية من نشاط كبير في تحفيظ القرآن الكريم وتدريس العلوم الإسلامية وتنظيم الملتقيات للتعريف بالإسلام وشريعته السمحة الطاهرة 66.

وقد دخل بفضل هذه الجهود المشكورة العشرات بل المئات من الأجانب في الإسلام وأصبحوا من الدعاة إليه العاملين على نشره والتعريف به بين بني جنسهم ، وهذا ما يؤكد لنا أن الطريقة العلاوية ليست طريقة سلوك وتعاليم وطقوس خاصة فحسب، بل هي حزب تبشيري يعمل على نشر الإسلام وبث مبادئه وأخلاقه وقيمه.

2- أسس الطريقة العلاوية:

إن الطريقة العلاوية كغيرها من الطرق الصوفية الأخرى لها دور كبير في نشر الإسلام أواسط العرب و الغرب ،داخل الوطن و خارجه وقد ساهمت الجهود الكثيرة التي بذلها شيخ ومؤسس الطريقة الشيخ أحمد بن مصطفى العلاوي منذ تأسيسه لطريقته التي ذاع صيتها وانتشرت بشكل كبير لا سيما في غرب الجزائر أين ظهرت أول مرة والتي تهدف إلى محاولة تطييب أحوال المكلف الظاهرة والباطنة على ما جاء به الشرع الشريف تطبيقا محكما لا سيما الاستقامة على الشريعة الإسلامية من ذلك الالتزام بأركان الإسلام والإحسان حتى يصح للمسلم أن يقول أنا مسلم بكل ما تحمله الكلمة من معنى[1] ،كما تسعى جاهدة إلى التربية الروحية بما في ذلك السعي لتزكية النفس وتطهيرها من الذنوب والخطايا التي غالبا ما يقع فيها الإنسان فكانت الطريقة العلاوية تسعى إلى الحرص على الإستقامة وطاعة المولى جل جلاله و هذا ما جاء على لسان الشيخ أثناء إلقائه كلمة لأتباعه ومريديه في احتفال العلاويين الذي أقيم بمسجد سيدي رمضان بالعاصمة قائلا : أيها الحاضرون ليبلغ شاهدكم غائبكم أن من رأى منا أو سمع أو أمرناه بشيء مما يخالف الشرع الشريف فالله حسبه أن وافقنا على ذلك إذ لا طاعة

[1] - المرجع السابق، ص 263.

لمخلوق في معصية الخالق، وما أنا إلا معلم خير فيما أعتقده ، فمن رأى مني خيرا فليعني عليه ومن رأى مني شرا فلينبهني إليه...."[1]

وقد كان الشيخ يتوجه بكلامه هذا بشكل خاص لأتباعه وتلامذته الذين كانوا يأخذون كلامه بعين الإعتبار لا سيما نذكر منهم الشيخ عدة بن تونس الذي ولد بمدينة مستغانم 1898م و الذي تولى مشيخة الطريقة العلاوية بوثيقة خطية من شيخها ومؤسسها الذي أحاطه بالعناية الكاملة ولازمه منذ صباه وتتلمذ على بده فحصل من العلوم الروحية والدينية حتى أصبح من أعلام الطريقة العلاوية البارزين ورجالها السالكين وكان بذلك خير خلف لخير سلف ألا وهو الشيخ الكبير أحمد بن مصطفى العلاوي، وقد كان للشيخ عدة بن تونس دور كبير في إنتشار وتوسع الطريقة بفضل الجهود التي كان يسعى لبذلها حيث قام وهو على رأس الطريقة العلاوية بإنشاء مجلة المرشد التي صدر العدد الأول منها في شهر شوال 1365هـ أوت الموافق ل 1945م لتكون لسان حال الطريقة آنذاك فعنيت بمختلف القضايا الدينية و الاجتماعية والأحداث التي جدت على الساحة العربية والإسلامية شأنها شأن سابقتها جريدة البلاغ التي أشرنا إلى ذكرها سابقا.[2]

وكان الغرض من إصدار هاته المجلة إحياء القلوب وتنوير البصائر والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، كما كان للشيخ نشاط كبير في ميدان التأليف حيث ألف مجموعة لا بأس بها من الكتب التي تؤرخ للطريقة وتعرف بمؤسسها ، و بقي يمارس نشاطه إلى أن وافته المنية في اليوم 12 من شهر جويلية سنة 1952 م بعد حياة حافلة بالنشاط والعمل الدؤوب ، رحمه الله.[3]

وبعد وفاته تولى رئاسة الطريقة العلاوية ابنه الشيخ محمد المهدي بن تونس المولود سنة 1928م بمدينة مستغانم وكانت تربيته كوالده تحت إشراف ورعاية الشيخ أحمد العلاوي الذي أحاطه بالعناية الكاملة وكان يصحبه معه إلى مجالس وعظه وذكره وهو يقول للمريدين : إن لولدي هذا شأنا عظيما عند الله ، كما صحبه معه سنة 1930 م إلى البقاع المقدسة وهو لم يتجاوز العامين . [4]

[1] – المرجع السابق، ص 285.
[2] – المرجع نفسه، ص 290 –291.
[3] – المرجع نفسه، ص 292.
[4] – المرجع نفسه، ص 291.

أدخل الزاوية في سن مبكرة فحفظ القرآن الكريم قبل سن البلوغ لما كان يتميز به من حافظة قوية وذكاء حاد كما حصل على نصيب وافر من العلوم العربية و الإسلامية . وقد وفق كل التوفيق في القيام بمسؤولية المشيخة الملقاة على عاتقه خير قيام مقتفيا آثار والده في خدمة الطريقة العلاوية التي ترأسها منذ وفاة والده سنة 1952 م وذلك بوصية مكتوبة من مؤسس الطريقة الذي أوصاه بها بعد وفاة أبيه الحاج عدة.

ولعل أبرز حدث يواجه شيخ الطريقة الجديد هو اندلاع ثورة التحرير الكبرى التي كان الشيخ محمد المهدي من الملبين لندائها ، المنطويين تحت لوائها ، الداعين إليها فجند لها الأتباع والمريدين والطلبة لا سيما نذكر منهم المختار بن حديدوان شيخ زاوية دار الكبداني في قبيلة بني سعيد والتي لعبت بفضله دورا هاما في نشر تعاليم الطريقة العلاوية حيث كان يقوم بتوجيه أتباعه نحو التزكية الروحية والإلتزام بالقيم الإسلامية ، ومن الأتباع أيضا نذكر سليمان بن المهدي مؤسس زاوية بني بويغرور التي تعتبر مركزا روحيا هاما لأتباع الطريقة العلاوية حيث كانت تقام فيها الحضرات والذكر الجماعي وتعقد فيها مجالس العلم والموعظة.[1]

لقد كان لأتباع ومريدي الطريقة العلاوية دورا مهما لا سيما إبان الإستعمار حيث كانوا يدعمونها بالنفس والنفيس إلى أن تحررت البلاد وذهب الإستعمار إلى غير رجعة . وكما كان للشيخ محمد المهدي مجالس للوعظ والإرشاد والتذكير يعقدها لمريدي الطريقة وأتباعها ومحبيها كان أيضا كثير التفقد لزوايا الطريقة في الداخل والخارج قصد القيام بتبليغ الدعوة الإسلامية لغير المسلمين ، وقد أسلم على يده الكثير من الأوروبيين إلى أن وافته المنية في سنة 1975م رحمه الله ، لينهض [2] بمشيخة الطريقة العلاوية من بعده ابنه الشيخ عدلان خالد بن تونس المولود بمستغانم سنة 1949 وكان قد نشأ وترعرع في كنف والده الشيخ المهدي الذي كان يحبه ويوليه العناية والإهتمام ، فأدخل الكتاب لحفظ القرآن الكريم كما إنظم إلى تلاميذ المدارس لمتابعة دراسته ، إلى أن أصبح ممن يدعون إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة كما أخذ يعمل ليل نهار من أجل نشر الطريقة العلاوية والإكثار من زواياها داخل الوطن وخارجه.

[1] – المرجع السابق، ص 293-292.

[2] – المرجع نفسه ، ص 294.

كما قام بانشاء مراكز أحباب الاسلام في العديد من أقطار المعمورة وتنظيم الملتقيات وإلقاء المحاضرات في الدعوة إلى الإسلام والتعريف به ، كما كانت له مبادرة العمل على إحياء تراث الطريقة العلاوية بطبع كتبها و ترجمت ما ينبغي ترجمته لتعميم الفائدة [1] .

ظف إلى ذلك ما يعرف بالميثاق أو العهد التوحيدي كما يسميه مشايخ الطرق والزوايا والذي يكون بمثابة عهد يقطعه المريد أو السالك على نفسه وأمام شيخ طريقته التي يتبعها حيث يعمل جاهدا على الإلتزام بالتوحيد الخالص لله عزوجل والافراد بعبادته وحده لا شريك له وإتباع نهج الصالحين من الأنبياء والرسل والصحابة التابعين وكذلك الأولياء الصالحين الذين يدعون[2] لإتباع القرآن والسنة النبوية الشريفة، من خلال إنشائهم للزوايا داخل الوطن و خارجه وتأسيسهم لطرق تدعو لتعاليم ديننا الحنيف الذي يدعو إلى الإيمان بالله وحده وإتباع سنة الأولين من الأنبياء والرسل و الصحابة رضوان الله عليهم وبالعودة إلى الحديث عن ما يعرف بالميثاق أو العهد التوحيدي الذي يعرف عند المتصوفة لا سيما منهم مشايخ الطرق و الزوايا بأنه الإرتباط الروحي بين المريد و شيخه حيث يؤخذ العهد غالبا في جلسة خاصة أو ما يعرف عند المتصوفة "بالحضرة" كما يعرف أيضا "بالبيعة الروحية" فهو ليس مجرد إلتزام لفظي بل ارتباط قلبي روحي سلوكي بين المريد وشيخه إلا أنه أعمق من ذلك أي أنه يكون بين العبد وربه فالمريد يتعهد أمام شيخه بأن لا يخالف تعاليم دينه، و يقصد بالعهد والميثاق في الإسلام بأنه العهد الذي أخذه الله تعإلى على بني آدم في عالم الذر حين خلق أباهم آدم عليه السلام ، ومسح على ظهره فاستخرج منه كل من سيولد ويخرج من صلب آدم إلى يوم القيامة ، وهذا الميثاق هو إقرارهم بتوحيد الله تعإلى وربوبيته كما قال سبحانه وتعإلى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ﴾

سورة الأعراف173/172

أما عند الصوفية لا سيما منهم مشايخ الطرق والزوايا كما أشرنا إلى الذكر سابقا بأنه إلتزام المريد أو التلميذ بطريقة الشيخ الذي يتبع نهجه ويسلك طريقه ، فلا بد للمريد أن يكون مخلصا فالعهد لا يأخذ إلا بعد صدق نية التلميذ أو المريد، والعهد عند الطريقة العلاوية هو رابطة روحية وأدبية يربط بها المريد نفسه بشيخه يلتزم بموجبه

[1] – المرجع السابق، ص 295.

[2] – الشهائد و الفتاوى فيما صح لدى العلماء من أمر الشيخ العلاوي ج محمد بن محمد بن عبد الباري الحسني التونسي ،علق عليه :قدور بن أحمد المجاجي ،ط –تونس 1344-1925م ، ص 100-111-112.

السير في طريق الذكر والدعوة إلى الحق و من أمثلة ذلك العهد عند الطريقة العلاوية أين يلتزم أتباع ومريدي الطريقة العلاوية بالسير على خطى شيخهم والإقرار بالولاء والطاعة وإتباع تلك الإرشادات الروحية للطريقة حيث يقول المريد أمام شيخه[1] "أعاهد الله، وأعاهد رسول الله، وأعاهد سيدي ومولاي الشيخ أحمد العلاوي على أن ألتزم بطريقته ، ولا أخالف أمره ، و أن أكون مخلصا في ذكر الله، وسالكا في طريق التوبة والتقوى ، ما حييت" و قد يضيف أيضا:" و أشهد الله أني أسلم نفسي لطريقة الشيخ ، وأتبعها ظاهرا و باطنا، وأجدد بيعتي في كل حين ، ولا أنكر على أولياء الله ، وألا أطلب من أحد شيئا إلا الله ، وأن أكون صادقا مع الله ومع الناس"

فهنا نرى أن المريد يتعهد أمام الله وخلقه بأن يكون مخلصا وفيا لله[2] سبحانه وتعإلى باتباع أوامره واجتناب نواهيه بترك المعاصي والمحرمات التي نهانا الله سبحانه وتعإلى عنها في كتابه الكريم حيث جاء في قوله جل جلاله في سورة الأنعام : ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ سورة الأنعام، الآية 151

و قوله تعإلى أيضا: ، إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِي . "سورة ط–آ– 14".[3]

2– الأوراد والأذكار الخاصة بالطريقة العلاوية وشيخها أحمد بن مصطفى العلاوي :

إن الطريقة العلاوية كغيرها من الطرق الصوفية الأخرى، لها أوراد وأذكار خاصة بها، يحفظها ويرددها مريدي الطريقة و أتباعها وتلامذة شيخها أحمد بن مصطفى العلاوي الذي كان له الفضل في نشر الإسلام بالجزائر وخارجها و خدمة المسلمين و نشر روح الأخوة والمحبة والتضامن بين أبناء الشعب، فكان يمتاز بالحكمة والموعظة الحسنة والأخلاق الفاضلة ، كما كان رجل دين و إصلاح يشهد له لك من يعرفه ومن تتلمذ على يده بأنه رجل حكمة يسعى إلى نشر الإسلام الصحيح داخل وخارج البلاد من خلال طريقته التي انتشرت وذاع صيتها في المغرب العربي الكبير لا سيما في بلاد المغرب الشقيق.

[1] – أحمد التيجاني الغوته :التصوف الإسلامي ، مبادئه و مقاصده و غاياته ط 2 –مطبعة المنار ،تونس 1987، ص 31.

[2] – المصدر نفسه، ص 31– 32.

[3] – القرآن الكريم سورة الأنعام –أ– 151.

وبالحديث عن الأوراد والأذكار الخاصة بالطريقة وشيخها والتي غالبا ما تكون تهدف إلى تقوية النفس الإنسانية و الإيمان بوحدانية الله عز وجل والتذكير به وبرسوله الكريم صلى الله عليه وسلم والصلاة عليه في كل وقت وحين ونذكر من الأوراد التي كان شيخ الطريقة يرددها هو أتباعه من المريدين نذكر:

أ- الورد العام: وهو الورد الذي التزم به شيخ ومؤسس الطريقة العلاوية، وألزمه أشياخ الطريقة ، وأتباعها من بعده، بعده و هو مستوحى من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ثم تداوله منذ عهد الإمام الشاذلي ، واستمر العمل به إلى اليوم ،كان يقرأه الشيخ كل يوم في زاويته بعد الصبح وبعد العشائين [1].

و يتمثل الورد العام للطريقة العلاوية فيما يلي :

1- قراءة سورة الواقعة، وبعد الانتهاء يقول المريد : سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

2- الدعاء.

الخير من القريات تقرب إليك بكن صلاة صليت عليه اهد ، مدار أول النشأة : نهاية للكمالات " يرددها ثلاث مرات.

الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم : اللهم يا من جعلت الصلاة على النبي من القربات ، أتقرب إليك بكل صلاة صليت عليه ، من أول النشأة على ما لا نهاية للكمالات يرددها ثلاث مرات.

4-سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ، ثم يقول : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

5-بسم الله الرحمان الرحيم يرددها ثلاث مرات ، ثم يقرأ قوله تعالى : ﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ثم يقول : استغفر الله العظيم مائة مرة ، استغفر الله العظيم الذي لا إله الا هو الحي القيوم وأتوب إليه[2] .

[1] – يوسف توفيق ، الحضرة في التصوف الشيعي ، الزاوية العلاوية أنموذجا ، الثقافة الشعبية العدد 19 ، 2012م ،ص117.

[2] – بن مزور عامر و مسيكة محمد الطريقة العلاوية في الجزائر ، طريقة صوفية في حلة عصرية د ن] الجلفة، (د. ت)، ص 45.

6-أشهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم، إن الدين عند الله الإسلام ، لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير (يرددها مائة مرة) الحمد لله الذي هدانا لهذا و ما كنا لنهتدي لولا إن هدانا الله ، الحمد لله و الشكر (مائة مرة).

7-ثم يقرأ المريد سورة الإخلاص ثلاث مرات ، ثم يختتم بـ:

الصلاة والسلام عليك يا حبيب الله.

الصلاة والسلام عليك يا سيدنا يا نبي الله.

الصلاة والسلام عليك يا سيدنا يا رسول الله ، ألف صلاة و ألف سلام صلى الله عليك و على آل بيتك وأصحابك يا أكرم الخلق عند الله.

ب- الورد الخاص: وهو اسم الإلهي يعطيه الشيخ للمريد ليذكره في خلوة لمدة معينة ، و تعطى الأوراد الخاصة إلى كل مريد حسب طاقته ، ورسوخه في الطريقة ، و يمكن أن تقل أو تكثر حسب همة السالك وقوة عزيمته .[1]

ويتمثل الورد الخاص للطريقة العلاوية فيما يلي:

1-الإسعاذة : الإستعاذة بالله من الشيطان الرجيم.

2-البسملة : قراءة بسلم الله الرحمان الرحيم ثلاث مرات.

3- الآية الكريمة : قراءة الآية : ﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ مرة واحدة.

[1]- يوسف توفيق المرجع السابق ، ص 118.

4-الاستغفار : يردد أستغفر الله العلي العظيم 99 مرة.[1]

5-الذكر الخاص : ذكر "الله" أو هو الأول و الآخر والظاهر والباطن 99 مرة.

6- قراءة آية الكرسي مرة واحدة.

7-الصلاة على النبي محمد صل الله عليه وسلم بصيغة : اللهم صلي على سيدنا محمد عبدك ورسولك النبي الأمي وعلى آله و صحبه وسلم " 99 مرة.

8-آية البيعة قراءة الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ 99 مرة.

9 -آية الرحمة: قراءة الآية : ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ مرة واحدة.

10-الذكر الختامي : ذكر " فاعلم أنه لا إله إلا الله مرة واحدة"[2].

3-خصائص الطريقة العلاوية :

إن من بين الخصائص التي تميزت بها الطريقة العلاوية هي ذاتها ما تهدف إليه وتعمل جاهدة عن نشره ألا و هو الإسلام من خلال اصدار مؤسسها الشيخ أحمد بن مصطفى العلاوي ومن تعاقب على رئاسة هذه الطريقة من مشايخ و أئمة لجرائد ومجلات حيث صدرت عدة صحف وجرائد نذكر منها صحيفة البلاغ الجزائري التي صدرت بتاريخ 17 جمادى الثانية 1340هـ فكانت خير خلف لخير سلف.

والمتتبع لبعض أعداد هذه الصحيفة وما كانت تنشره من مواضيع دينية وإجتماعية متنوعة لا يسعه إلا أن يكبر فيها نهجها الثابت القويم في الدفاع عن الإسلام، والدعوة إليه ، والرد عل أعدائه من رجال الكنيسة ، والملاحدة، والعلمانيين والشيوعيين الذين ابتليت بهم أمم الإسلام مشرقا و مغربا .[3]

[1]- يوسف توفيق الحضرة في التصوف الشيعي الزاوية العلاوية أنموذجا، الثقافة الشعبية العدد 19 ، 2012 م ، ص 117-118.

[2]- المصدر نفسه، ص 118-119.

[3]- المصدر نفسه ، ص 264- 265.

بالإضافة إلى مقالات وقضايا تمس واقع المسلمين ، ولها علاقة بالإسلام كقضية التجنيس التي شنت عليها صحيفة البلاغ حربا لا هوادة فيها، بواسطة تلك المقالات القيمة التي كان يحررها العالم الجليل الشيخ المولود الحافظي الأزهري ، الذي أبان بالأدلة الشرعية القاطعة وأثبت بالحجج القاطعة حرمة التجنس بالجنسية الفرنسية.

كما عالجت البغاء الذي انتشر بدوره في كل المدن والقرى الجزائرية ، والذي كانت السلطات الاستعمارية تشجعه وتدعمه وتعمل على نشره وإبقائه سرطانا في جسم المجتمع العربي المسلم بالجزائر.

كما كانت جريدة البلاغ تجيب عن المسائل الدينية التي تهم المسلمين كالصيام ، وحكم الشرع في الإفطار بواسطة الهاتف ، والنصاب الشرعي لأنواع الزكاة، وقضية اختلاط النساء بالرجال وغيرها من المواضيع الدينية الأخرى [1].

وقد كانت هذه نبذه عن أهم ما تداولته صحيفة البلاغ من مواضيع مهمة تخص الأمة المسلمة على وجه العموم والأمة الجزائرية على وجه خاص ، ضف إلى ذلك عدة مقالات ذات أهمية بالغة صدرت عن أقلام نخبة من العلماء الذين كانوا يكتبون فيها وفي مقدمتهم كما ذكرنا سابقا مؤسسها الشيخ العلاوي رحمه الله.

وقد اختارت جريدة البلاغ من كلام الله عزوجل هاتين الآيتين الكريمتين : ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ﴾ قوله سبحانه وتعالى أيضا : ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ شعارا لها.

لقد كان الشيخ أحمد العلاوي على اتصال وثيق برائد النهضة الإصلاحية الإمام ابن باديس ، وكان كثير التردد على مكتب إدارة الشهاب بقسنطينة لتشاور معه فيما يخدم الإسلام والمسلمين ، كما كانت له كذلك علاقات وطيدة ومراسلات مع آخرون مشايخ كبار وعلماء مصلحين ، فكلهم يخدم الأمة والوطن بأسلوبه الخاص وطريقته الخاصة في إطار الدفاع عن الإسلام والعروبة ، والحفاظ عليهما لا سيما من كان منهم يدافع عن الإسلام بتعلمه فقد تركت تلك المعارك الصحفية ثروة أدبية وعلمية تشكل اليوم جزءا هاما من تراثنا الثقافي العربي الإسلامي، ولم يكن لتلك المعارك من هدف سوى إصلاح حال المسلمين و محاربة الإنحراف والفساد وتغيير

[1]- المصدر نفسه، ص 265.

المنكر بجميع ألوانه وأشكاله والقضاء على أسباب الضعف والتأخر و الإنحطاط . ونشر الأخلاق الفاضلة بين الناس و بث العلم الصحيح الذي تسعد به البلاد و العباد[1].

ولعل أبرز ما تميزت به الطريقة العلاوية هو محاولتها جاهدة وبشتى الطرق والوسائل إصلاح الأمة و نشر الوعي أوساط المجتمع الجزائري خاصة و العربي عامة و كذلك تصحيح المعتقدات الخاطئة لدى المجتمعات بتوعيتهم بما جاء به الدين الإسلامي وما جاءت به كذلك السنة النبوية الشريفة حفاظا على مقومات الهوية الوطنية.

[1] – المرجع السابق، ص 282.

نستنتج مما تطرقنا إليه في الجانب النظري ، أن التصوف بالجزائر ذاع صيته و انتشر في كامل أرجاء البلاد بفضل تلك الرحلات العلمية من بلاد المشرق العربي والأندلس والتي شكلت بوادر ظهوره بالمغرب العربي عامة والجزائر على وجه خاص ، أين انشر التصوف وظهرت معه الطرق و الزوايا على أيدي مشايخ كبار و علماء بارزين أسسوا زواياهم لنشر الدين الإسلامي سالكين المذهب الصوفي ، يقدمون أورادهم وأذكارهم للسالكين والمتعبدين من التلامذة ، وكما ورد الذكر في ما تطرقنا إليه في فصلنا من أسماء بارزة في التصوف بالجزائر الشيخ أحمد بن مصطفى العلاوي مؤسس الطريقة العلاوية التي فصلنا الحديث عنها بشكل خاص.

لما لعبته من دور هام في نشر الإسلام و تعاليمه الله ساهمت إبان فترة الإستعمار من مواجهة كل مظاهر القضاء عن ديننا الحنيف ، وبذلك التصوف لم يكن فقط مذهبا يتبعه الفرد ، بل كان وسيلة للدفاع عن دين الله والمحافظة عليه .

الفصل الثاني: تجليات النزعة الصوفية في ديوان أحمد بن مصطفى العلاوي (دراسة في نماذج مختارة)

تمهيد:

يعد التصوف عموما من أبرز التيارات الروحية في الفكر الإسلامي و ينقسم بدوره إلى نوعين رئيسيين : التصوف السني الذي يعرف بأنه المسلك و الطريق الروحي الذي من شأنه تزكية النفس الإنسانية و تقوية إيمانها بخالقها ، و قد إستهلت الدراسة في هذا الفصل بهذا النوع من التصوف الذي تناولت فيه جل موضوعات التصوف السني و التي من أبرزها :الذكر ، التزكية ، الشكر ، المديح لا سيما مدح النبي صلى الله عليه و سلم و كذلك موضوع العشق الإلهي و الذي هو موضوع التصوف عموما و غيرها من الموضوعات لا سيما التي وردت في ديوان شاعرنا العلاوي كما تطرقنا إلى دراسة النوع الثاني من التصوف و هو التصوف الفلسفي القائم بدوره على المزج بين كل من التجربة الروحية و التأمل العقلي بما في ذلك التطلع على الغيبيات ، و قد تناولت الدراسة كذلك موضوعات التصوف الفلسفي المتمثلة في الرموز نذكر منها : رمز الخمرة ، رمز المرأة ، رمز الطبيعة و كذلك النظريات لاسيما التي وردت في ديوان الشاعر و المتمثلة في نظرية الإتحاد و الحلول و نظرية الإشراق و هذا ما سنتطرق إليه خلال الدراسة البحثية لهذا الفصل.

أولا: التصوف السني و موضوعاته :

مفهومه:

يعرف التصوف السني في مفهومه العام بأنه المسلك والطريق الروحي الذي يهدف لتزكية النفس الإنسانية وهدايته إلى الطريق السوي وتقوية الإيمان بالله عز وجل والإقتراب منه من خلال العبادات التي يقوم بها المسلم من صلاة وصوم وذكر وغيرها من العبادات للتقرب من الخالق جل جلاله و الابتعاد عن المعاصي والشهوات والإعراض عن زخرف الدنيا ومباهجها من خلال مراقبة أفعال القلب الذي هو في الأساس مصدر ومبدأ الأفعال وهذا ما يندرج تحت مسمى مجاهدة التقوى إلى أن تطور التصوف السني وصار نوعا من المجاهدة النفسية أطلق عليها مجاهدة الاستقامة أي جهاد النفس الإنسانية[1] بالاستمرار في الطاعة والثبات على الطريق المستقيم لقوله تعالى: ﴿**فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ**﴾.[2]

من خلال ذكر مجاهداتهم وأورادهم وأفكارهم بأسلوب بسيط الألفاظ والمعاني، بعيدا عن الإفراط في الرموز والإشارات والمنحى الفلسفي الغامض ،ومن أبرز الموضوعات المتعلقة بهذا النوع من التصوف في ديوان شاعرنا ما يأتي:

1.1. الذكر:

والذي يتمثل في الدعوة إلى ذكر الله سبحانه وتعالى بما في ذلك وحدة الوجود أي وجود الله سبحانه وتعالى في كل وقت وحين، ونجد الشعراء يعتمدون في أشعارهم ذكر الله عز وجل والدعوة إليه وهذا ما تجلى في ديوان شاعرنا العلاوي في قصيدة "اذكر الله يا رفيقي":[3]

أُذْكُرِ اللهَ يا رَفِيقِي وَتَوَجَّهْ لِلمَرَامْ

وَاقْصِدِ الحَقَّ الحَقِيقِيَّ إِنَّمَا الخَلْقُ عَدَمْ

لَا سِوَاهُ فِي التَّحْقِيقِ جَلَّ قَدْرًا فِي القِدَمْ

---

[1] – الطاهر بونابي التصوف في الجزائر خلال القرنين 6و7 هجري و 12 و 13 ميلادي، ص38.

[2] – سورة هود الآية 111.

[3] – ديوان العارف بالله والدال عليه للشيخ أحمد بن مصطفى العلاوي ص 20.

قَدْ ظَهَرْ بِالتَّفْرِيقِ، لَكِنِ النَّاسُ نِيَامْ

لَا تَعُدْ عَنِ الطَّرِيقِ جِدْ سَيْرًا لِلْمَقَامْ

اذكر الله يا رفيقي وتوجه للمرام

واقصد الحق الحقيقي إنما الخلق عدم

لا سواه في التحقيق جل قدرا في القدم

قد ظهر بالتفريق لكن الناس نيام

لا تعد عن الطريق جد سيرا للمقام

نجد في هذه الأبيات دعوة صريحة لذكر الله عز وجل من خلال الأذكار التي كان يرددها شاعرنا وشيخنا العلاوي في جميع الأوقات لما يترتب عن ذلك من فوائد روحية ونفسية، لا سيما الراحة والطمأنينة النفسية وقد جاء ذلك في قوله عز وجل ﴿**أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾. [1]

كما نجد الشعراء على وجه عام وشاعرنا العلاوي على وجه خاص كثيرا ما يرددون مصطلح "الطريقة" في قصائدهم وتعابيرهم ويستخدمونه للدلالة على السير بالسير المختصة بالسالكين إلى الله.

وجاء أيضا في شعر العلاوي عن الذكر قصيدة "الذكر أسباب كل خير" حيث جاء مصطلح الذكر واضحا جليا دون غموض وتعقيد: [2]

الذِّكْرُ أَحْسَنُ مِنَ التِّجَارَةِ لَوْ كَانْ نْقُولْ اشْ فِيهْ

أَفْضَلْ مِنَ الْمُلْكْ وَالْوِزَارَة وَالنَّاسْ مُخَرَّفَا عَلِيهْ

وَالدُّنْيَا كُلَّهَا خَسَارَة حَاطَتْ بِالعَادِلْ وَالسَّفِيهْ

[1] – سورة الرعد الآية 28.

[2] – ديوان العارف بالله والدال عليه للشيخ أحمد بن يوسف العلاوي، ص 78.

وقوله كذلك: [1]

الذِّكْرُ نَافِعَةٌ لِلْمُؤْمِنِ شَافِيَةٌ تَنْهَضُ بِالقَلْبِ وَالضَّمِيرْ

يَخْرُجُ لِلْعِزِّ بَعْدَ ذُلِّ المَعْصِيَةِ الذِّكْرُ أَسْبَابُ كُلِّ خَيْرْ

يَا رَبِّ وَفِّقِ الجَمَاعَةَ لِأَفْعَالِ الخَيْرِ وَالصَّلَاحْ

يدعو شاعرنا في هذه الأبيات إلى تقوية العلاقة بالله من خلال الذكر لما فيه من راحة نفسية فالذكر يقرب العبد من ربه ويزيد من تحصين النفس ، كما أن الذكر عند الشعراء لا سيما منهم المتصوفة يعد من الأعمدة والركائز الأساسية، فهو يمثل وسيلة مباشرة للتواصل بين الصوفي وربه فالذكر ينظر إليه من منظور صوفي بأنه ليس مجرد عمل لفظي، بل هو حالة روحية يتوجه من خلالها الصوفي بكل كيانه نحو خالقه.

وقد ذكر في هذا الصدد عبد الرحمن بوجنان الوزيداني التلمساني أن أوقات الشيخ العلاوي كانت كلها عامرة بالذكر والمذاكرة ومواعظه تكاد تتفتت منها الأكباد وتنشق منها القلوب ،بما فيه من المعارف الربانية والحكمة.[2]

2.1. لتزكية:

ومن المضامين الأخرى التي تندرج تحت سياق التصوف السني مصطلح التزكية والتي ضمنها الشاعر العلوي في ديوانه، يعبر من خلالها عن مكانته الرفيعة وعلو مقامه الروحي ودعوته للرجوع لدين الله الحق من خلال التوبة وتزكية النفس وتهذيبها ومراقبة أعمال القلب للوصول إلى رضا الله عز وجل.

وقد قال شاعرنا في هذا الصدد في قصيدته "يا من لم تفهم مقالي": [3]

يا مَن لَمْ تَفْهَمْ مَقَالِي لِمَاذَا تُنْكِرْ عَلَيَّا

أَنْتَ مِنَ المَعْنَى خَالِي جَاهِلًا بِالأُلُوهِيَّا

[1] – ديوان العارف بالله والدال عليه للشيخ احمد مصطفى العلاوي ، ص 78.

[2] – الشهائد والفتاوى فيما صح لدى العلماء من أمر الشيخ العلاوي جمع محمد بن محمد بن عبد الباري الحسني التونسي علق عليها قدور بن أحمد المجاجي المطبعة التونسية تونس 1334 هـ -1925 م.

[3] – ديوان العلاوي، ص 34.

لَوْ كُنْتَ تَعْلَمْ بِحَالِي تعْتَرِفْ لِي بِالمزَيَا

تَرَانِي بَيْنَ الرِّجَالِ كَشَمْسٍ عَلَى البَرِّيَّا

أَعْطَانِي رَبِّي سُؤَالِي كَفَانِي مَوْلَى الهُدَيَّا

هَدَانِي ثُمَّ هَدَى لِي حُلَّةً مِنْهُ مَرْضِيَّا

يبين لنا الشاعر العلاوي في هذه الأبيات مكانته العالية التي ميزها الله بها، حيث يتحدث بصريح العبارة دون تعقيد عن مقامه الروحي ،كما تعبر هذه الأبيات عن تجربة روحية عميقة مخاطبا بها من يجهلون مقامه ،حيث نلمس نوعا من اللوم والعتاب على هذه الفئة التي يخاطبها شاعرنا مبينا لهم علو مرتبته ،حيث يرجع سبب جهلهم بمكانته إلى جهلهم بالألوهية وفي هذا دعوة صريحة للعودة إلى الله ويرجو هدايتهم إلى الطريق الصحيح باتباع مسلك الشيوخ والعلماء والصالحين.

.3.1الشكر:

وكما جاء في ديوان شاعرنا قصائد تدعو إلى شكر الله عز وجل على النعم التي أحاط بها عباده ومنوا بها، فشكر الله من الأمور الواجبة على كل مسلم فما من نعيم كان فيه إلا وكان الفضل كله لله وهذا ما جاء في أبيات قصيدة "ألا شكر الله يجب حتما" :[1]

أَلَا شُكْرُ اللهِ يَجِبُ حَتْمًا عَلَى كُلِّ فَتًى نِضَالِ المرَامْ

وَفِي الشُّكْرِ قُلْتُ: لَا نَخْشَى لَوْمًا إِنْ بَدَا نَشْرُهُ فِي ذَا الكَلَامْ

قَدْ سَقَيْنَا كُؤُوسًا فِيهَا حِكْمَةٌ مِنْ يَدِي البُوزِيدِي قُطْبِ الأَنَامْ

يدعو شاعرنا بلغة مباشرة المسلم إلى شكر الله الذي هو سبب كل النعم والفضل كله يعود إليه ،كما يشير شاعرنا إلى أنه مشبع بالحكمة التي أخذها من العلماء والأولياء الصالحين أمثال الشيخ البوزيدي الملقب بقطب الأنام لمكانته الرفيعة بين الأولياء الصالحين، حيث يبين لنا الشاعر العلاوي بأنه أخذ من البوزيدي الكثير من الحكمة فهو بمثابة مرشد روحي.

[1]- ديوان العلاوي، ص 46.

كما جاء في قصيدة "فلا ترضى بغير الله حبا" رسالة مباشرة يؤكد من خلالها شاعرنا أن الله هو سبب كل الخير الذي يكون فيه الفرد لاسيما المسلم حيث قال فيها: [1]

فَلَا تَرْضَ بِغَيْرِ اللهِ حُبًّا كُلُّ شَيْءٍ مَا دُونَهُ سَرَابْ

نَصَحْتُكَ إِنْ كَانَتْ لَكَ نَسَبًا أَهْلُ الذِّكْرِ فِي مَحْبُوبِهِمْ غَابُوا

وقوله كذلك:[2]

فَإِنْ كَانَتْ لَكَ فِي اللهِ رَغْبًا، صَحِبْتَنَا وَلَا شَرْطٌ وَلَا ارْتِيَابْ

يؤكد الشاعر في هذا البيت أن من أراد طريق الهداية والعودة إلى الله ،فما عليه إلا بصحبته لكونه ولي من أولياء الله الصالحين الهادين إلى الطريق الحق والداعين إلى عبادة الله وحده لا شريك له.

كما جاء كذلك في قصيدة " اللطفية "دعوة شاعرنا العلاوي المباشرة إلى ذكر الله والعودة إلى كتابه الكريم حيث جاء في أبياتها :[3]

أَيَا رَبَّ بِلُطْفِكَ يَا مُرْتَجَى أَلْطِفْ بِنَا وَهَيِّئْ لَنَا فَرَجَا

سَأَلْنَاكَ يَا رَبَّ بِالْقُرْآنِ وَمَا فِيهِ بِالسَّبْعِ الْمَثَانِي

وَالَّذِي أَتَى بِهِ وَبَثَّهُ وَبِجَلِّ آيَاتِهِ وَحُبِّهِ

وَأَمَرَ بِحُبِّنَا الْقُرْآنَ فَكَانَ أَطْيَبَ لَنَا مِمَّا كَانْ

إن القرآن جاء رحمة وهدى للعالمين ، هذا ما أراد شاعرنا الإفصاح به في هذه الأبيات كما ذكر بأن الله عز وجل أمرنا باتباع كتابه الذي فيه الشفاء والبيان.

[1] – ديوان العلاوي ، ص 48.

[2] – ديوان العلاوي ، ص 49.

[3] – ديوان العلاوي، ص 93-94.

4.1.المديح النبوي:

تعتبر المدائح النبوية فنا من فنون الشعر الصوفي وجد فيها الشعراء ملجأ وملاذا يسكنون إليه ،يتغنون فيها بمدح النبي صلى الله عليه وسلم وذكر صفاته و الإشادة بمعجزاته و التشوق لزيارة قبره [1]، ومن هؤلاء الشعراء نجد شاعرنا أحمد بن مصطفى العلاوي الذي برز المديح النبوي في قصائده بكثرة وكان له الحظ الأوفر في الحضور حيث نجد شاعرنا يعبر عن حبه للرسول صلى الله عليه وسلم بكلمات موحية تنبع من روحانيته حيث جاء بقصيدة "محمد اصطفاك الباري" التي قال فيها :[2]

بِالقَلْبِ نَمْدَحُكَ وَاللِّسَانُ أَعْوَجُ وَصْفُ الحَبِيبِ فَوْقَ سَوَارِي

نَبْغِي نُمَجِّدُكَ يَا طَه وَاللَّفْظُ مَا يُسَاعِدُ وَصْفَكْ

بَعْضُ المدِيحِ فِيكَ سَفَاهَةٌ الأَمْثَالُ قَاصِرَةٌ عَنْ مِثْلَكْ

وقوله كذلك:[3]

مَاذَا نَقُولُ فِي صَاحِبِ الْمِعْرَاجِ مُحَمَّدٌ اصْطَفَاكَ الْبَارِي

بِالقَلْبِ نَمْدَحُكَ وَاللِّسَانُ أَعْوَجُ وَصْفُ الحَبِيبِ فَوْقَ سَوَارِي

نُورُ الإِلَهِ مَا يَتَمَثَّلْ وَالعَجْزُ عَنْ أَوْصَافِهِ حِكْمَةْ

لَوْ كَانَ نَنْعَتُهُ تَتَفَضَّلْ سِوَى نَقُولُ فِيهِ كَلِمَةْ

فَاقَ الجَمِيعَ فَرْعًا وَأَصْلْ مَبْعُوثٌ لِلْخَلَايِقِ رَحْمَةْ

نلمس في هذه الأبيات إجتماع لواعج الحب بنيران الشوق لتنتهي بعشق خير من بعث للناس الرسول عليه صلوات الله وسلامه ،حيث يظهر لنا جليا حب شاعرنا الذي يكنه للنبي صلى الله عليه وسلم ،وهو حب قوي نقي صادق والشاعر هنا يردد البيتين الأولين من القصائد يعظم من شأن الرسول صلى الله عليه وسلم ويبين للمتلقي بأن مكانته رفيعة وفي هذا إشباع لرغبة الشاعر المتمثلة في عشقه للرسول محمد صلى الله عليه وسلم.

[1] – محاضرات في الأدب الصوفي الجزائري الدكتورة أسماء سوسي 2021 م – 2022 م ، ص 36 .

[2] – ديوان العلاوي، ص 81.

[3] – ديوان العلاوي، ص 81.

كما جاء أيضا في قصيدة" دمعي مهطال" التي قال في أبياتها: [1]

دَمْعِي مِهْطَالْ مِنْ عَيْنِي مَضَاهَا

يَا بَرْدَ الأَصَالْ سَلِّمْ عَلَى طَهْ

سَلِّمْ عَلَيْهِ يَا نَسِيمَ القُرْبِ

وَاذْكُرْ لَوْعَتِي وَحُبِّي مُولَعٌ بِهِ وَلَيْسَ فِي كَسْبِي

يعبر الشاعر العلاوي في هذه الأبيات عن مدى تأثره بحبه لله ورسوله الذي جعله يذرف الدموع بلا حساب اشتياقا للقاء الله ورسوله.

وقد جاء أيضا في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم:[2]

صَلَّى اللهُ عَلَيْكَ يَا نُورْ يَا نُورَ كُلِّ المَنَازِلْ

يَا خَيْرَ مَنْ فِي المَنْزِلْ

يَا رَسُولَ اللهِ أَنْتَ أَنْتَ النُّورُ المَتَشَكِّلْ

نُورٌ عَلَى نُورٍ جِئْتَ بِهِ القُرْآنُ تَنَزَّلْ

مِشْكَاةُ نُورِهِ وَزَيْتَا ضِيَاءٌ جِئْتَ مُعْتَدِلْ

لَا يَكُونُ الكَوْنُ حَتَّى يَظْهَرَ بِكَ مُتَجَمِّلْ

يذكر الشاعر بمكانة نبي الله محمد صلى الله عليه وسلم الذي ملأ العلا بكماله، فالنبي هو خير من بعث في الأرض وأنه نورا جاء ليضيء وينير القلوب بنور الحق والإيمان ،جاء حاملا لنا رسالة من الله عز وجل ألا وهي القرآن الكريم هداية للناس إلى طريق الحق والعدل

.

[1] – ديوان العلاوي ص 73- 74.

[2] – ديوان العلاوي ص 86.

و جاء أيضا في مدح النبي عليه الصلاة والسلام قول شاعرنا في قصيدة بعنوان "حيرلي بالي قطب الجمال" التي قال فيها :[1]

ـَيَّرْ لِي بَالِي قُطْبُ الجَمَالِ عَيْنُ الكَمَالِ هُوَ المَرَامْ

سِرُّ الحَيَاةِ نُورُ الصِّفَاتِ حِصْنُ النَّجَاةِ دَارُ السَّلَامْ

وقوله أيضا: [2]

أَحْمَدُ مُحَمَّدٌ فِي الحُسْنِ، وَاحِدٌ جَمَعَ الفَوَائِدْ نُورُ القِدَمْ

قَدْرٌ عَظِيمٌ سِرٌّ عَمِيمٌ بَرٌّ رَحِيمٌ عَلَى الدَّوَامْ

ثُمَّ مَعَانٍ دُونَ اللِّسَانِ يُخْفِي جَنَانِي غَيْرَ الكَلَامْ

يَا رَبَّ عَظِيمٍ صَلِّ وَسَلِّمْ مَجِّدْ وَفَخِّمْ بَدْرَ التَّمَامْ

صَلِّ عَلَيْهِ وَاجْمَعْنِي بِهِ جَمْعًا بَدِيهِيًّ بِلَا أَوْهَامْ

يشيد شاعرنا العلاوي في هذه الأبيات بعظمة النبي ومكانته الرفيعة بين الخلق، ثم معاني دون لسان نجد هنا أن شاعرنا لديه الكثير ليقوله إلا أن الكلمات تخونه و لا يستطيع البوح بكل ما يختلج في روحه إلا أنه استطاع أن يكتب هذه الأبيات التي يدعو من خلالها إلى الصلاة والسلام على من بعث رحمة وهدى للناس، ويرجو ملاقاته.

جاء أيضا في مدح المصطفى صلى الله عليه وسلم قصيدة تحمل عنوان "يا سيدي امحمد يا محمد" :[3]

ويَا سَيِّدِي أَحْمَدْ يَا مُحَمَّدْ صَلَّى اللهُ عَلَيْكَ يَا مَنْ بِكَ القَلْبُ تَايِدْ وَتْرَبَّى عَلِيك

لَا تِحْرِمْنِي يَا مُحَمَّدْ مِنْ سَنَا وَجْهَكْ تَرَانِي مَقْرُوحَ التَّمْدِيدْ لَا زِلْتْ نْرَاعِيكْ

وَالمِحَلْ لَا زَالْ مَوْجُودْ، يِتْرَجَّى فِي مَجِيكْ كُنْتْ نْظُنّ تْجِي وَتْعَاوِدْ فَإِذَا مَا بِكْ

[1] – ديوان العلاوي، ص83.

[2] – ديوان العلاوي، ص83.

[3] – ديوان العلاوي، ص 87

إن الشاعر يحمل في ذاته الكثير من الحب تجاه الرسول ، فمدحه هنا للرسول ليس لشيء إنما المقصود به صبابة الحب الروحي الذي لا علة فيه وليس فيه غرض منفعي بل حب صادق بارز بوضوح لا سيما أن لغة شاعرنا العلاوي تغلب عليها المباشرة لإختفاء المجاز في شعره اختفاءا كبيرا ليدع للتكرار الذي من شأنه إشباع رغبة الشاعر في ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم.

وجاء أيضا في ديوان العلاوي قصيدة عنوانها "شور الحبيب قلبي لبى" التي تحمل في طياتها معاني الحب العظيم التي يكنها الشاعر العلاوي للرسول محمد صلى الله عليه وسلم كما جاء فيها وصف لجماله الذي فقد الحدود حيث قال: [1]

مُفَخَّمِ الْمَفَاصِلْ قَوِي جِسْمُه نْظِيفْ أَبْهَى مِنَ الْقَمَرْ فِي الصَّفَا

لِحْيَتُه مُجَمَّعَة مَكْحُولَة شَعْرُه كَثِيفْ الْبَيَاضْ فِي السَّوَادْ اخْتَفَى

مُوَفَّرْ الشَّعْر مُجَعَّد فَانِي رَهِيفْ مَفْرُوقْ جَاتْ فِيهِ ظَرَافَةْ

وجاء في قصيدته كذلك: [2]

مُهَذَّبُ الأَخْلَاقِ مُحْدِقٌ، صَبِيٌّ لَبِيبْ مُشَرَّفُ القَدْرِ وَالنَّسَبَةْ

مُخَالِفُ الأَعْدَاءِ مِنْ صِغَرُهْ ضِدَّ الصَّلِيبْ مَهِيوبٌ فِي أَهْلِو وَالقُرْبَى

يثني شاعرنا العلاوي من خلال هذه الأبيات على مكانة الرسول بين الخلق فمكانته رفيعة عالية لأنه يتحلى بجميع الصفات الخلقية والخلقية التي تميزه عن سائر خلق الله كما يذكرنا الشاعر بالجانب الديني الذي يدعوا من خلاله للإسلام واتباع نهج الرسول صلى الله عليه وسلم الذي كان معارضا للكفر وداعيا للدخول في دين الله الإسلام.

[1] – ديوان العلاوي ص 90.

[2] ديوان العلاوي ص 90.

أ/ الحقيقة المحمدية:

وبالحديث عن الحقيقة المحمدية في ديوان شاعرنا العلاوي، فقد كان لها حظ الظهور في ديوانه من بداية قصائده وأشعاره إلى غاية نهايتها لأن النبي صلى الله عليه وسلم هو خير من بعث للناس و خير خلق الله جاء حاملا رسالة النبوة وكتاب الله العظيم القرآن الكريم لهداية الناس وإدخالهم في دين الله الحق دين الإسلام خاتم أنبياء الله ورسله.

ومن الأشعار التي نظمها شاعرنا العلاوي لتعظيم مكانه خير خلق الله النبي محمد صلى الله عليه وسلم التي هي مكانة رفيعة ومقدسة ، قال: [1]

لا يَكُونُ الكَوْنُ حَتَّى يَظْهَرَ بِكَ مُتَجَمِّلْ

أَنْتَ فِي الآثَارِ قُلْتَ ذَا الكَوْنُ مِنْكَ تَمَثَّلْ

مِنْ حَضْرَةِ القُدْسِ جِئْتَ وَأَنْتَ فِيهَا لَمْ تَزَلْ

كُنْتَ قَبْلَ الكَوْنِ كُنْتَ وَالأَبَدُ مِثْلُ الأَزَلْ

وقوله أيضا: [2]

يَا رَسُولَ اللهِ حُزْتَ فَضْلَ الفَضْلِ وَالفَضَائِلْ

يَا رَسُولَ اللهِ دُمْتَ وَدُمْتُ لَكَ مُتَمَثِّلْ

في هذه الأبيات التي نظمها شاعرنا العلاوي يظهر لنا جليا أن الرسول صلى الله عليه وسلم هو سبب وعلة الوجود ، وهذا ما تجلى في البيت الأول " لا يكون الكون حتى يظهر بك متجمل" أي أن النبي هو سر وجود هذا الكون والوجود وأصل كل موجود فقد ميزه الله على بقية الأنبياء بالقرآن الكريم الذي أوحى الله به على رسوله الكريم فجاء رحمة وهدى للعالمين.

[1]- ديوان العلاوي ، ص 86.

[2] - ديوان العلاوي، ص 86

ب/ النور:

هذا المصطلح هو مفتاح أكثر المعارف فمن ظن أن الكشف موقوف على الأدلة المجردة فقد ضيق رحمة الله تعإلى الواسعة، ولما سئل رسول الله عن الشرح ومعناه في قوله تعإلى ف﴿مَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾[1]

،قال: هو نور يقذفه الله تعإلى في القلب فقيل وما علامته ؟فقال التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود .. أو بتعبير آخر هو الظاهر الذي ظهرت به الأشياء و من استقامت نفسه على التزكية بالطاعات من ظلمة الطبائع حتى يقابل بنورها نور الروح من الله عليه باستغراق الشهود في المحبة[2]

وقد ورد مصطلح النور بكثره في قصائد شاعرنا العلاوي لاسيما في القصائد التي مدح فيها الرسول صلى الله عليه وسلم ونذكر منها [3]

نُورُ الصِّفَاتِ كَنْزِي وَاعْتِمَادِي

حَالَ الْمَمَاتِ جَعَلْتُهُ زَادِي

وقوله كذلك :[4]

لَهُ الكَوْنُ مِرْآةٌ وَمَظْهَرُ الصِّفَاتْ مُحَمَّدٌ نُورُ الذَّاتِ عَلَيْهِ صَلَّى اللهْ

جاء في هذه الأبيات مدح النبي محمد عليه الصلاة والسلام ووصفه بالنور الذي يضيء القلوب بنوره، لا سيما أن المولى عز وجل بعثه لينير القلوب والعقول التي هي في غفلة عن ذكر الله ويهديها إلى طريق السوي.

وقوله أيضا: [5]

فَهُوَ بَحْرٌ جَامِعٌ كُلَّ كَمَوْجِه وَهُوَ نُورٌ لَامِعٌ مِنْ حَضْرَةِ الْمَوْلَى

---

[1]- سورة الأنعام الآية 125.

[2]- رفيق العجم، موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، مكتبة لبنان، ناشرون، بيروت، ط 1، 1999،ص 995-997.

[3]- ديوان العلاوي ص 85.

[4] - ديوان العلاوي ص 73.

[5]- ديوان العلاوي ص 16.

عند الغوص في معاني هذا البيت نجد أن النبي صلى الله عليه وسلم كالبحر ما لا نهاية له ممتلئ بصفات الحق والحسن والهداية وما إلى ذلك من أخلاق ميزها الله بها عن غيره من البشر.

ج/الجذب والجذبة:

يعني مصطلح الجذب في مفهومه العام إنجذاب العبد لشيء ما يعجبه بشدة أما عند الصوفية فدلالته أعمق من ذلك ،حيث يقول رفيق العجم في هذا المصطلح :" هي تقريب العبد بمقتضى العناية الإلهية المهيئة له كل ما يحتاج إليه في طي المنازل إلى الحق بلا كلفة وسعي منه".[1]

وجاء مصطلح الجذب والجذبة في أشعار شاعرنا العلاوي ضمن موضوع المدح لاسيما مدح النبي صلى الله عليه وسلم أين قال العلاوي في ذلك:[2]

إِذَا ذَكَرْتُ طَهَ نَخْشَى عَقْلِي يَغِيبْ مَجْذُوبٌ فِيهِ حَقُّ الجَذْبَةْ

جاء مصطلح الجذب والجذبة في هذا البيت دلالة على إنجذاب شاعرنا إلى النبي صلى الله عليه وسلم انجذابا روحيا شديدا لدرجة أن عقله يكاد أن يغيب، وفي هذا دلالة عميقة لحبه واتصاله به روحيا وهي مشاعر صادقه نابعة عن وجدان شاعرنا العلاوي الذي نجده في معظم أشعاره يذكرنا بمدى تعلقه وحبه لخير خلق الله محمد صلى الله عليه وسلم.

[1] – رفيق العجم، المرجع السابق، ص246.

[2] – ديوان العلاوي ص92.

د-/ الفخر:

ومن المصطلحات الصوفية التي وردت في قصائد شاعرنا العلاوي والتي تندرج تحت موضوع المدح نجد مصطلح الفخر الذي هو مصطلح صوفي له دلالة روحية عميقة كما يعد من بين الأغراض الشعرية التي يعبر بها الشاعر عن مدى قوته، أما بالنسبة لموضوع الفخر عند شاعرنا العلاوي فهو يتجلى في مفهوم الفخر الصوفي أو الفخر الروحي حيث جاء في قصيدة "روح وريحان ما بين الخلان "مصطلح الفخر واضحا جليا في الأبيات الآتية: [1]

رُوحٌ وَرَيْحَانٌ مَا بَيْنَ الْخِلَّانْ جَنَّةٌ وَرِضْوَانٌ فِي حَضْرَتِنَا

ضْرَةُ الْقُدُّوسِ مَحْيَا لِلنُّفُوسْ جَنَّةُ الْفِرْدَوْسِ تَحْتَاجُ إِلَيْنَا

وقوله كذلك:[2]

عِبَادُ الرَّحْمَنِ فِي كُلِّ زَمَانْ لَهُمُ الْأَمَانُ، مُطْمَئِنِّينَا

لَهُمْ افْتِخَارٌ عَنْ كُلِّ الْبَشَرْ فَهُمْ الأَحْبَارُ، الْوَارِثِينَا

يثني شاعرنا في هذه الأبيات على مكانة أهل الذكر بما في ذلك الأولياء الصالحين والشيوخ الداعين للتقرب من الله عز وجل، "جنة ورضوان في حضرتنا" جاء في هذا البيت موضوع الفخر و الاعتزاز الشديد بارزا حيث نجد الشاعر يفتخر بكونه من أهل الحضرة الذين هم أهل العرفان واليقين أهل الصلاح والدعوة إلى الحق.

لقوله كذلك:[3]

نَحْنُ الأَسَانِدُ لَنَا شَوَاهِدْ كُلُّ الْفَوَائِدِ فِي صُحْبَتِنَا

وختم شاعرنا قصيدته المليئة بمعاني الفخر والاعتزاز التي يكنها لنفسه ولأهل العرفان من المشايخ ، مذكرا أن في صحبتهم فائدة عظيمة خاصة للمريدين من خواص طريقته في التصوف.

[1]- ديوان العلاوي ص 63.

[2]- ديوان العلاوي ص63.

[3]- ديوان العلاوي ص63.

هـ-/ الشيخ:

ومن المصطلحات الاخرى التي وردت في أشعار العلاوي نجد مصطلح الشيخ ، والذي يمثل أحد أقطاب الطريقة الصوفية كما له مكانة بارزة في إدارة شؤون الطرق والزوايا ويمثل شاعرنا العلاوي أحد شيوخ الطرق والزوايا بالجزائر، حيث يعرف الشيخ عند الصوفية "بالإنسان البالغ في العلوم الثلاثة والتي هي: علم الشريعة والطريقة والحقيقة إلى الحد الذي من بلغه، كان عالما ربانيا مربيا هاديا مهديا ، مرشدا إلى طريق الرشاد معينا لمن أراد الإستعانة به على بلوغ أهل رتب السداد، وذلك بما وهبه الله من العلم اللدني الرباني والطب المعنوي الروحاني..."[1] أي أن الله وهبه مكانة عالية بين الخلق ألا وهي هداية الناس بما في ذلك السالكين والمريدين وإنارة طريقهم بالحق والإيمان.

وقد تجلى هذا المصطلح في أشعار شاعرنا العلاوي حين قال: [2]

سَأَلْنَاكَ الْغِنَى عَنِ الإِحْسَاسْ بِشَيْخِهِمْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْفَاسِي

وَبِالْفَاسِي يُوسُفْ صَفِيِّ الْمَشْرُوب وَشَيْخِهِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَجْذُوبْ

وَبِقُدْوَتِهِمْ عَلِيِّ الصَّنْهَاجِي يَا إِلٰهِي نَجِّنا مِنَ الْحَرَجِ

وَإِبْرَاهِيمَ الْمُكَنَّى بِالْفَحَّامْ أَنْقِذْنَا يَا رَبَّ مِنْ قُيُودِ الْأَوْهَامْ

وَبِشَيْخِهِ أَحْمَدَ الزَّرُوقِي أَفْنِ رَبَّ حُظُوظِي فِي حُقُوقِي

نجد أن شاعرنا العلاوي في هذه الأبيات يمجد الشيوخ لمكانتهم الرفيعة المتمثلة في هداية السالكين والمريدين وحتى عامة الناس لا سيما من هم في ضلال عن الله وتقريبهم من الإيمان.

كما قال ايضا: [3]

فَهُوَ السَّاقِي لِشَرَابِ الْمَعَانِي أَخَذَهُ مِنْ شَيْخِهِ الْمَرْوَانِي

[1] – محمود عبد الرزاق، المعجم الصوفي(دراسة علمية في الأصول القرآنية للمصطلح الصوفي) ص 1236 – 1237 .

[2] – ديوان العلاوي ص 104.

[3] – ديوان العلاوي ص 105 .

وفي هذا البيت كذلك نجد شاعرنا العلاوي يذكر بمكانة الشيخ المرواني، وفي هذا دلالة على فائدة الشيوخ التي لا تعد ولا تحصى من هداية الناس وتقوية إيمانهم بخالقهم ، وكذا فضلهم في إعانة المريدين والسالكين لبلوغ ما أرادوه.

إن المديح النبوي كان له الحظ الأوفر في الحضور في قصائد وأشعار شاعرنا العلاوي الذي اشتهر بحبه للرسول صلى الله عليه وسلم لكن هذا لم يمنعه من مدح الشيوخ والأولياء الصالحين والتعظيم من شأنهم لبلوغهم مراتب عليا من القرب إلى الله وصفاء نفوسهم واعتدال سلوكهم بالابتعاد عن زخرف الدنيا ومباهجها وتفرغهم للعبادة و باتباعهم يهتدي السالكون إلى سبيل الحق والنور الإلهي.

ومن بين الأشعار التي تجلى فيها مدح الشيوخ والأولياء الصالحين في ديوان شاعرنا العلاوي نذكر كذلك: [1]

وَبِحَقِّ الْخَضْرَمِيِّ أَحْمَدَ بْنِ عُقْبَةْ وَالْقَدَرِيِّ يَحْيَى تَمْنَحْنَا تُوبَةْ

وَبِحَقِّ أُسْتَاذِهِمْ عَلِيِّ بْنِ وَفَا وَبِشَيْخِهِ مُحَمَّدٍ بَحْرِ الصَّفَا

اقْبَلْ رَبَّ بِحَقِّهِمْ سُؤَالِي وَشَيْخِهِمْ دَاوُودَ بْنَ بَاخِلِي

فَرِّجْ كُلَّ الرَّجَاءِ مِنْكَ يَا إِلٰهْ بِحَقِّ شَيْخِهِمِ ابْنِ عَطَاءِ اللهْ

وقوله كذلك :[2]

مِنْ مَهْدِ وَسَهْلِ الطَّرِيقَةِ حَتَّى وَصَلَتْ إِلَيْنَا الْحَقِيقَةِ

وَشَيْخِهِ الشَّاذِلِيِّ أَبِي الْحَسَنِ احْفَظْنَا يَا رَبَّ مِنْ تُوَالِي الْمِحَنِ

نجد في هذه الأبيات شاعرنا العلاوي وشيخنا كذلك الذي هو مؤسس الطريقة العلاوية، نجده يمجد ويثني على شيوخه الصالحين كما ذكر اسمائهم دلالة على مكانتهم الرفيعة التي تميزهم عن غيرهم من خلق الله بما في ذلك هداية الناس إلى الطريق الصحيح.

[1]- ديوان العلاوي ص 104.

[2] - ديوان العلاوي ص 104.

5/-الحب الإلهي:

كما ظهر في ديوان شاعرنا العلاوي موضوع الحب جليا نابع من ذاته المحبة لله عز وجل والرسول صلى الله عليه وسلم وموضوع الحب لا سيما الحب الإلهي ظهر مع قدماء الشعراء فالرابعة العدوية هي أول من تكلم عن الحب الإلهي ، وأخرجت التصوف عن تأثره بعامل الخوف وأخضعها لعامل الحب كما يقول مصطفى حلمي:" لو إستطردنا في ذكر تاريخ لفظة الحب أو المحبة واستعمالها في التصوف الإسلامي، لرأينا أن رابعة العدوية كانت صاحبة الفضل على من جاء بعدها من صوفية المسلمين الذين اصطفوا لفظة الحب في غير ما تردد أو إبهام".[1]

ومن القصائد التي جاء فيها موضوع الحب الإلهي عند شاعرنا العلاوي قصيدة "تيهتني ذاتك التي قال فيها:" [2]

فِيكَ تِهْتَنِي ذَاتُكَ وَغِبْتُ يَا اللهُ

ظَهَرَتْ صِفَاتُكَ مِنْكَ وَفِيكَ يَا اللهُ

لِمَنْ نَحْكِي سِرِّي لِمَنْ نُرِيكَ يَا اللهُ؟

يظهر لنا جليا في هذه الأبيات موضوع الحب الإلهي والذوبان الروحي في محبة الإله ،فشاعرنا العلاوي يبين مدى انبهاره بجمال الذات الإلهية في أبياته عبارة عن رحلة روحية عميقة حيث انتقل الشاعر من حالة الإدراك العقلي إلى حالة الفناء في محبة الذات الإلهية والذوبان فيها.

وقوله كذلك: [3]

خَرَجْتُ لِلنَّاسِ نَحْكِي عَلَيْكَ يَا اللهُ

فِي جَمِيعِ أَنْفَاسِي مُولَعٌ بِكَ يَا اللهُ

يبين شاعرنا في هذين البيتين حبه الشديد لله عز وجل الذي جعله مولع ومتيم به فحبه فاق جميع الحدود.

[1] -حلمي محمد مصطفى، الحب الإلهي في التصوف الإسلامي، دار المعارف، القاهرة، ط 2 لاتا ص 142.

[2] .ديوان العلاوي ص 55.

[3] - ديوان العلاوي ص 56.

آ /–العشق:

ومن المصطلحات الصوفية الأخرى التي تجلت في ديوان شاعرنا العلاوي نجد مصطلح "العشق" الذي يعد من المصطلحات الكثيرة التداول في القاموس الصوفي وهو إسم لما جاوز الحد في المحبة أو هو الهوا عندنا عبارة عن سقوط الحب في القلب في أول نشأة في قلب المحب لا غير فإذا لم يشاركه امر آخر وخلص له وصفا سمي حبا فإذا ثبت سمي ودا ، فإذا عانق الاحشاء والقلب والخواطر لم يبقى فيه شيء إلا تعلق القلب به سمي عشقا[1].

وقد ورد مصطلح العشق في قصيدة شاعرنا العلاوي التي عنوانها "أيا أيها العشاق" التي طرز شاعرنا في أبياتها لفظة ومصطلح العشق أين قال فيها[2] :

سَمَوْتَ عَلَى الْجَمِيعِ حُسْنًا وَمَنْظَرًا أَيَا رَاحَةَ الْعُشَّاقِ، هَنِيئًا لَكَ التَّهْ!

جاءت دلالة العشاق في هذا البيت تعبيرا عن مدى حبه وتعلقه الشديد بالرسول صلى الله عليه وسلم.

وقوله كذلك :[3]

وَلَا عِشْقُ الْعُشَّاقِ كُلِّ مَلِيحَةٍ وَلَا مَالَتِ الْحِسَانُ وَجَرَرْنَ الذَّيْلَا

وقوله: [4]

وَفِي الذُّمَّلِ جَمَالٌ بَدِيعٍ لِغَيْرِكَ ذَاكَ مَعْشُوقُ الذُّبَابِ، وَكَذَا النَّمْلَا

فَلَا مَظْهَرٌ فِي الْكَوْنِ إِلَّا وَسِرُّهُ مَعْشُوقٌ لِغَيْرِهِ، وَلَوْ حَبَّةَ الرَّمْلَا

نجد فيها هاذين البيتين شاعرنا العلاوي يمجد العشق الإلهي ويبرز جمال الذات الإلهية المطلق الذي يتجلى في كل مظاهر الكون ، وحبه هنا فاق الحب العادي بل ارتقى إلى درجة العشق الإلهي الروحاني الذي وصل بشاعرنا إلى الفناء في الذات الالهية.

[1] – رفيق العجم ، المرجع السابق، ص 641.

[2] – ديوان العلاوي، ص 112.

[3] – ديوان العلاوي ،ص 13.

[4] – ديوان العلاوي ،ص 13.

ب- الرحمان:

ومن المصطلحات الصوفية التي كانت حاضرة في قصائد شاعرنا العلاوي نجد مصطلح الرحمان الذي هو من أسماء الله الحسنى وكذا من صفاته وهذا ما يتجلى في البسملة حين قولنا ﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾فالله جل جلاله هو رحيم بعباده لا سيما المستضعفين منهم ،وقد ورد هذا المصطلح في البيت الموالي أين قال الشاعر العلاوي: [1]

ألا يتقي الرحمان صونا لعرضه وبحفظ نور الايمان لئلا يرحلا

جاءت لفظة الرحمن في هذا البيت للدلالة على عظمة الخالق جل جلاله الذي لابد للعبد والمريد أن يتقيه.

وقوله كذلك :[2]

لَا نَرَى فِي الْأَكْوَانِ وَفِي نَفْسِي وَمِنِّي،

إِلَّا ذَاتَ الرَّحْمٰنِ قَرَّتْ بِهَا عَيْنِي

في هاذين البيتين لا يقصد شاعرنا بالرحمان الاسم الإلهي فقط بل الذات الإلهية التي تتجلى في كل شيء في خفقان القلب وجريان النفس وفي سكون اللحظة ، الذات الإلهية التي سكنت روح شاعرنا وأنارت بصيرته.

وقوله كذلك:[3]

فَهَلْ طُوِيَتِ الْأَكْوَانُ عَنْكَ بِنَظْرَةٍ وَهَلْ شَاهَدْتَ الرَّحْمٰنَ حَيْثُمَا تَجَلَّى

تفيض هنا دلالة لفظة الرحمان بعدة معاني تحملها بداخلها أبرزها الرحمة والرحمان جل جلاله وهو أصل الوجود وما يصدر عنه إلا الرحمة والمغفرة ينزلها الله على عباده المؤمنين ودلالة الرحمن هنا تعني الحضور الالهي المتجلي في جميع مظاهر الوجود.

[1] – ديوان العلاوي ،ص 9.

[2] – ديوان العلاوي ،ص 36.

[3] – ديوان العلاوي ،ص 8.

ج-/المريد:

أو السالك المتعبد الذي يسعى جاهدا اجتناب الشهوات وملذات الدنيا التي تبعده عن خالقه لذلك يسعى إلى بلوغ المراتب العليا في العبادات باتباع الشيوخ والمرشدين الروحانيين الذين بفضلهم يتقربوا المريد من ربه من خلال الرياضات والمجاهدات كالصوم والذكر والخلوة وما إلى ذلك من مجاهدات نفسية تجعل المريده يتقرب من ربه.

وقد ورد مصطلح المريد في بعض من قصائد شاعرنا العلاوي نذكر منها قصيدة يا مريد ان فزت به التي قال في أبياتها [1]

يَا مُرِيدُ، إِنْ فُزْتَ بِهِ بَادِرْ وَاقْصِدْ مَنْ تَهْوَاهْ

إِنْ أَرَدْتَ تَفْنَى فِيهِ لَا تَصْغِ لِمَا عَدَاهْ

حَضِّرْ قَلْبَكَ فِي اسْمِهِ شَخْصُهُ، وَافْهَمْ مَعْنَاهْ

يخاطب هنا شاعرنا العلاوي السالك و المريد الذي نال بداية القرب من الله باتباع شيخه الذي يحثه على المبادرة إلى قصد المحبوب الإلهي بقوله "من تهواه" يقصد به الله سبحانه وتعإلى والمبادرة تعد شرطا هاما في سلوك طريق المحبة والفناء في الذات الإلهية، كما يشير البيت الأول" يا مريدا فزت به" إلى العلاقة المتينة بين الشيخ والمريد التي فيها رابطة روحية عميقة قائمة على الحب والسعي نحو الكمال وبلوغ الذات الإلهية.

وقال أيضا شاعرنا: [2]

يَا مُرِيدَ السِّرِّ، سَلِّمْ لَا تُنْكِرْ عَلَيْنَا

ـَلِّ فَهْمَكَ عَنِّي وَاقْدِمْ كَيْ تَأْخُذَ مِنَّا

إِنْ كُنْتَ قَبْلِي تَعْلَمْ فَلَا تَحْتَاجُ إِلَيْنَا

[1] – ديوان العلاوي ، ص 47.

[2] – ديوان العلاوي ، ص 51.

نرى في هذه الأبيات مخاطبة الشاعر والشيخ العلاوي لمريده يدعوه فيها إلى التسليم بما في ذلك ترك العقل المجرد والتسليم لما يوحى إليه من شيخه بلا إنكار فهذه الأبيات فيها دعوة صريحه للمريد بالتخلي عن شهوات الدنيا ومباهجها الفانية التي لا منفعة منها ولا تقرب السالك من ربه بل تجعله في غنى عن ذكره، كما يثني شاعرنا وشيخنا العلاوي رحمه الله على مكانته في تربية المريد والسالك على الطاعة والتزكية والعبادات التي تنير له طريقه للوصول إلى ذات الإلهية وهي تربية روحية بحتة تقرب المريد روحيا من الذات الإلهية.

6-/ الأوراد والأذكار الخاصة بشاعرنا وشيخنا العلاوي التي وردت في ديوانه:

يعد شاعرنا العلاوي من أبرز الشيوخ والأولياء الصالحين بالجزائر حيث أسس طريقته العلاوية التي ذاع صيتها وانتشرت داخل وخارج البلاد بفضل جهود شيخ الطريقة ومؤسسها أحمد بن مصطفى العلاوي ،الذي اعتمد في طريقته وتعليمه لمريديه وتلامذته على الأوراد والأذكار التي كان يرددها دائما وهي خاصة به وما ورد منها في ديوانه نذكر: [21]

الْحَمْدُ كَمَا أَمَرَ وَالشُّكْرُ لَا يَنْحَصِرْ،

عَلَى الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ إِلٰهِي نَسْعَى رِضَاكَ

نَحْمَدُكَ حَمْدًا بَعْدَ فَنَاءِ الْخَلْقِ،

عَلَى مَا قَدْ سَبَقَ وَجَرَى بِهِ قَضَاؤُكَ

صَلَاةٌ، ثُمَّ التَّسْلِيمُ وَالرَّحْمَةُ، وَأَزْكَى التَّعْظِيمِ،

عَلَى النَّبِيِّ الْكَرِيمِ أَفْضَلِ مَنْ نَجَّاكَ

نلمس في هذه الأبيات الأوراد والأذكار التي كان الشيخ أحمد بن مصطفى العلاوي يرددها تقربا وتعظيما لله سبحانه وتعإلى طلبا للبركة وتهذيبا للنفس وتطهيرا القلوب من الخطايا لما كان للأوراد والأذكار من فوائد عديدة

[1] – ديوان العلاوي ، ص 97.

منها طمأنينة نفسية عند تكرار الأذكار وما تكرارها إلا اتباعا لسنة النبي صلى الله عليه وسلم الذي كان شديد الذكر وإقامة صلواته في وقتها وكثير العبادات عليه افضل الصلاة والسلام.

ثانيا: **التصوف الفلسفي وموضوعاته:**

مفهومه:

يعرف التصوف الفلسفي بأنه يجمع بين تجربة الصوفية الروحية والتأمل العقلي الفلسفي بما في ذلك التطلع على الغيبيات، حيث يعتمد فيه الصوفية على الرمزية، الإشارات والإيحاءات للتعبير عن اتجاههم في الإشراق و وحدة الوجود والوحدة المطلقة غلبت عليهم فيها عاطفة الحب الإلهي التي كانوا يرتشفون منها حتى الغياب عن الوعي وصولا إلى حالة السكر فضلا عن جنوحهم إلى توظيف الألفاظ الغزلية والخمريات للدلالة على حقائقهم الصوفية[1] ، وممن مثل هذا النوع من صوفية الجزائر الشيخ والشاعر أحمد بن مصطفى العلاوي المستغانمي في ديوانه العارف بالله والدال عليه ومن بين المواضيع التي ينطوي عليها هذا النوع من التصوف في ديوان شاعرنا الآتي:

1/ رمز الخمرة:

يقول شاعرنا في هذا الصدد ما نصه:[2]

فَمَا أَحْلَى شُرْبَ الْقَوْمِ ... تُخْبِرُ بِطَعْمِهِ،

فَلَسْتُ أَعْنِي خَمْرًا ... وَلَسْتُ أَعْنِي عَسَلَا

شَرَابٌ قَدِيمٌ ... نُعِتَ نَعْجِزُ عَنْ وَصْفِهِ

فَجَلَّ فِي ذَاتِهِ أَنْ يُشَاكِلَ الشَّكْلَا ... كَأْسُهُ مِنْ جِنْسِهِ، يُسَاعِدُ فِي شُرْبِهِ،

وَهَلْ كَأْسِي يَكْفِي دُونَهُ؟ قُلْتُ: بَلَى ... عَجِبْتُ لِهَذَا الْكَأْسِ، يَسْقِي بِنَفْسِهِ،

يَطُوفُ عَلَى الْعُشَّاقِ، هٰذَا فِيهِ خَصْلَا ... وَمِنْ نَعْتِهِ سِحْرٌ، رُسِمَ فِي طَرْفِهِ،

[1] الطاهر بونابي، المرجع السابق، ص 259.

[2] ديوان العلاوي ص 12.

مَنْ نَظَرَ خَتْمَهُ، تَخَلَّى عَنِ الصَّوْلَا وَمِنْ عَجَبٍ أَنِّي مَا بُحْتُ بِسِرِّهِ،

وَلَوْ سُقِيَ سِوَايَ مَا صَامَ وَلَا صَلَّى

يستعمل الشيخ العلاوي رمز الخمرة في شعره لعجز كلمات اللغة العادية عن حمل نشوة الغياب في الذات الإلهية وهي رمز المحبة الإلهية التي تفوق الحدود ،لأن المحبة الإلهية هي موضوع الإسكار وهي البديل الخمري الذي يسبب النشوة والفرحة الروحيين والصوفي في حالة وجده بالمحبة او في حالة تجلي الحق عليه بالمحبة يغمره فيض من اللذة الروحية وتطفى على كل كيانه.[1]

والخمرة في العرفانية الصوفية ليست هي الخمرة المادية فالشيخ و الشاعر العلاوي يستعين في تعبيره عن عالمه الروحي بأدوات من عالم المادة فاستعار من الخمرة صفتها واتخذها بديلا رمزيا مناسبا بسبب تشابه كل من آثارها وآثار السكر الصوفي التي يمكن أن نتبينه في غياب التوازن وحسارة رقابة العقل.[2]

وجاء أيضا في ديوانه قصيدة بعنوان "سقوني وقالوا" التي قال فيها العلاوي: [3]

سَقَوْنِي وَقَالُوا لَا تَفْنَى وَلَوْ سَقَوْا

جِبَالَ حُنَيْنٍ مَا سَقَوْنِي، لَغَنَّتْ

سَقَوْنِي بِكَأْسٍ مَنْ لَوْ أُهْدِيَ سَنَاهُ

إلى الْجِبَالِ مِنْهُ نَصِيبٌ، لَدُكَّتْ

سَقَوْنِي شَرَابًا قَدِيمًا كَانَ مِزَاجُهُ

غَرَامًا، وَتَبْرِيحًا وَوَجْدًا، وَحَيْرَةْ

[1] أمين يوسف عودة، تجليات الشعر الصوفي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، طبعة 338 ، 2001 ، 1.

[2] ديوان العلاوي ، ص 43.

[3] ديوان العلاوي ص 58.

وقال أيضا: [1]

يَا لَهَا مِنْ خَمْرَةٍ فِيهَا شِفَاكَ

إِنْ كَانَ فِي زَعْمِكَ أَمْرٌ صَعِيبْ

أَحْسِنْ فِينَا ظَنَّكَ يَضْحَى قَرِيبْ

يعبر الشاعر عن حبه الإلهي من خلال اتخاذه رمز الخمرة للوجد الإلهي وليست بالخمرة المسكرة بل الخمرة الروحية ألا وهي الحب الإلهي الذي يراه الشاعر دواء لكل داء فكل صعب يصبح هينا وسهلا بفضل الله.

5/ وقال أيضا :[2]

يا له من مشروب ساقيه به نادى

أيا عشاق المحبوب وقت النهوض هذا

يَا لَهُ مِنْ مَشْرُوبٍ سَاقِيهِ بِهِ نَادَى،

أَيَا عُشَّاقَ الْمَحْبُوبِ وَقْتَ النُّهُوضِ هٰذَا

أَهْلُ الشُّعُورِ فَاقُوا وَالسَّاقِي بِهِ سَقَى

الْعَاشِقُ بِهِ مَطْرُوبٌ خَمْرٌ عَتِيقٌ لَاذَى

أَيَا عُشَّاقَ الْمَحْبُوبِ وَقْتَ الشُّهُودِ هٰذَا

قَدْ بَاحَ بِهِ الْخَمَّارُ بَيْنَ ذَوِي السُّكْرَى

يظهر جليا في هذه الأبيات رمز الخمرة الروحية حيث وظفها شاعرنا ليؤكد للقارئ مدى تأثير الخمرة الروحية التي تسكر الروح وليس الجسد في المشروب هنا دلالة على بلوغ شاعرنا النشوة الروحية وطريق الإرتقاء في

[1] – ديوان العلاوي ص 58.

[2] – ديوان العلاوي ص60-61.

المعراج الصوفي أي بلوغ مرحلة الشهود والتجلي الإلهي ، أما في الأبيات التالية يخاطب شاعرنا أهل المحبة الإلهية ويدعوهم بصريح العبارة للنهوض أي إيقاظ قلوبهم التي هي في غفلة عن خالقها حيث يذكرهم بالسير في طريق الله وعدم التواني فعلى السالك المتعبد أن لا يتهاون ولا يغفل عن ذكر ربه.

وجاء في قصيدة "صفت النظرة طابت الحضرة" التي قال فيها :[1]

صَفَتِ النَّظْرَةُ طَابَتِ الْحَضْرَةُ

جَاءَتِ الْبُشْرَى لِأَهْلِ اللهِ

قَامُوا سُكَارَى لِذِي الْبِشَارَةِ

جَعَلُوا عِمَارَهُ شُكْرًا لِلهِ

أَيُّهَا الْحَاضِرُ اذْكُرْ وَذَاكِرْ

إِيَّاكَ تُنْكِرْ حَالَ أَهْلِ اللهِ

لقد جاء في هذه الأبيات معاني وجدانية روحية عميقة يحملها شاعرنا بداخله ،معبرة عن حالة الصفاء الروحي والحضرة الإلهية أي مجالس الذكر كما وصف حال الذاكرين بالسكارى الذين عند تناولهم الخمر تذهب عقولهم فحال أهل الذكر هو ذاته حال شاربي الخمر.

كما ظهر رمز الخمرة في أشعار العلاوي في عدة قصائد حيث جاء حاملا دلالات كثيرة وحضوره في كل بيت له دلالة يرمز إليها حيث قال أيضا: [2]

بِعَيْنِي رَأَيْتُ الْمَاءَ أَلْقَى بِنَفْسِهِ، مِنَ التَّنْزِيهِ إلى التَّشْبِيهِ فَتَطَوَّرَا

وَلَوْلَا أَنْ رَأَيْتُ الْجَوْهَرَ بِعَيْنِهِ، مَا ظَنَنْتُ أَنَّ الْخَمْرَ صِرْفًا تَحَجَّرَا

[1] – ديون العلاوي ص 93.

[2] ديوان العلاوي ص 106.

جاء في هذين البيتين دلالات ومعاني عدة إلى جانب رمز الخمرة بما في ذلك الجوهر الذي يمثل الحقيقة الإلهية وفي قوله الخمر صرفا تحجر دلالة الخمر هنا ترمز إلى المعرفة الإلهية وفي مفهومه العام يرمز إلى فيض المحبة الإلهية التي لا يمكن حجزها في القلوب وفي هذا دلالة عميقة لحب الشاعر للذات الإلهية.

وقال كذلك في الخمرة: [1]

قَصْدِي، بُغْيَتِي، خَمْرِي، نَشَوَاتِي عَيْنُ الذَّوَاتِ فِي ذَا الْعَالَمِ

جَمْعُ الْجَوَامِعِ، كَهْفُ الْمَطَامِعِ لِكُلِّ بَارِعٍ، لَهُ اهْتِمَامِ

جاء رمز الخمرة في البيت الأول دلالة على حب الشاعر العلاوي للرسول صلى الله عليه وسلم حبه الذي جعله يسكر قلبه وروحه كأنه خمر يرتويه فالخمر هنا يرمز إلى الحب الشديد الذي يحس به الشاعر للرسول الله.

وقوله كذلك:[2]

عَرَّفُوْنِي بِنَفْسِهِمْ، رَفَعُوْنِي إلى الْعُلَا،

مَزَجُوْنِي بِحُبِّهِمْ، ذَوَّقُوْنِي مَعْنَى الْوَصْلَا

خَمَّرُوْنِي بِشُرْبِهِمْ، فِي مَعْنَاهُمْ جُلْتُ جَوْلَا،

غَيَّبُوْنِي فِي حُسْنِهِمْ، بَدَّلُوْنِي بِهِمْ بَدَلَا

سَمَحُوْا لِي بِذَاتِهِمْ، أَدْخَلُوْنِي بَيْنَ الْوَلَا،

كَلَّفُوْنِي بِسِرِّهِمْ، مَلَّكُوْنِي كَأْسًا يَحْلَا

جاء هنا رمز الخمرة للدلالة على حب شاعرنا الشديد بمن كانوا سبيله في الوصول إلى ما هو عليه بما في ذلك التقرب من الذات الإلهية فنجده في هذه الأبيات يعبر عن مدى حبه للأولياء الصالحين وأهل الذكر حيث

[1] ديوان العلاوي ص 83.

[2] – ديوان العلاوي ص 108.

يشير إليهم في قوله خبروني بشربهم إلى الحب الذي أصبح كالخمر المسكر المذهب للعقل، إلا أن رمز الخمرة هنا دلالة على إذهاب روحه المتعلقة بالأولياء الصالحين.

تعتبر الخمرة معينا خصبا يلجأ إليه شعراؤنا بصفة عامة وشاعرنا العلاوي بصفة خاصة لينسجوا منها صورا شعرية يرمزون بها إلى بعض المواقف الإنسانية البارزة كموقف الحب والغرام ،أو موقف السعادة و النشوة خاصة في قصائد المديح إذ اقام المتصوفة شعرهم على استحياء معانيهم من الخمرة فوجدوا فيها الوسائل القمينة بالتعبير عن عالمهم الخاص.[1]

بل إن الصوفية قد ادخلوا بعضا من هذه الألفاظ ضمن ما اصطلحوا عليه من عبارات مثل الصحو والسكر والذوق والشرب ، والقرب والبعد والشوق والمحبة والغيرة والمناجاة والوصل والمسامرة.[2]

إن الخمرة قد تحولت عند العديد من الشعراء إلى مادة شعرية خصبة، يأخذ كل شاعر منها ما يريد لتشكيل أو تكوين صورته ولم تكن الخمرة مقصودة لذاتها عند اي واحد منهم ، وهكذا فإن تسرب المعاني المولودة من الخمرة إلى أغراض الشعر ظاهرة فنية عامة، وتفسير هذه الظاهرة التي تحولت فيها الخمرة إلى طاقة شعرية خلاقة ليست سهلا ولعله يتعدى حقل الدراسة الأدبية إلى مجالات أخرى، من مهماتها البحث في الرموز وطرائق وتوليدها وكيفية تعاملها .[3]

3/ لقد عبر شاعرنا العلاوي عن مضمون رمز الخمرة بمصطلحات خاصة شكلت القاموس الخمري الصوفي وتتجلى هذه المصطلحات كالاتي:

أ- الشرب:

ومن بين المصطلحات الصوفية البارزة في موضوع الخمرة الصوفية نجد مصطلح الشرب الذي ورد كثيرا في قصائد شاعرنا العلاوي خاصة وشعراء الصوفية عامة وهو دلالة على الوحدة الوجودية وبلوغ حالة الفناء في الذات

[1] – ينظر سعاد الفحصي ، صورة الخمرة في قصيدة المديح النبوي ، في فجر الدولة العلوية ، موقع دنيا الوطن ت w w w pulpit el watanvoice com. ، 21/11/2005

[2] العوادي عدنان حسين، الشعر الصوفي حتى أفول مدرسة بغداد وظهور الغزالي ، دار الرشيد، وزارة الثقافة والإعلام ،العراق ،الطبعة الأولى، 1979 ،ص 260.

[3] ينظر سعاد الفحصي، المرجع السابق.

الإلهية فمصطلح الشرب عند شاعرنا جاء توظيفه للدلالة عن الحب الإلهي المطلق وقد ورد في العديد من قصائده نذكر منها قصيدة "أيا أيها العشاق" التي قال فيها العلاوي: [1]

فَمَا أَحْلَى شُرْبَ الْقَوْمِ، نُخْبِرُ بِطَعْمِهِ، فَلَسْتُ أَعْنِي خَمْرًا، وَلَسْتُ أَعْنِي عَسَلَا

شَرَابٌ قَدِيمُ النَّعْتِ، نَعْجَزُ عَنْ وَصْفِهِ فَجَلَّ فِي ذَاتِهِ أَنْ يُشَاكِلَ الشَّكْلَا

يرمز هنا مصطلح الشرب إلى الفيض الروحي وحب الذات الإلهية المطلق الذي بلغه شاعرنا حتى شبهه بالشراب المسكر الذي يذهب العقول ودلالته هنا تعني الشراب الذي يذهب النفوس و هو روحاني ليس بالمادي.

ب/السكر:

الذي يعرفه الصوفية بأنه زيادة على الغيبة من وجه، وذلك أن صاحب السكر قد يكون مبسوط إذا لم يكن مستوفى في حال سكره، وقد يسقط إخطار الأشياء عن قلبه في حال سكره، وتلك حال المتساكر، الذي لم يستوفه الوارد ،فيكون للإحساس فيه مساغ، وقد يقوى سكره حتى يزيد على الغيبة فربما يكون صاحب السكر، أشد غيبة من صاحب الغيبة إذا قوى سكره، وربما يكون صاحب الغيبة أتم في الغيبة من صاحب السكر إذا كان متساكرا غير مستوف والسكر لا يكون إلا لأصحاب المواجيد.[2]

وقد ورد هذا المصطلح بكثرة في ديوان شاعرنا العلاوي حيث قال :[3]

أَهْلُ الشُّهُودِ وَالْعِيَانِ قَدْ سَقَاهُمُ الرَّحْمَنُ،

فِي حَضْرَتِهِ كِيسَانٌ هَامُوا فِيهَا سُكَارَى

أَسْكَرَهُمُ الْحَبِيبُ وَنَادَاهُمْ مِنْ قَرِيبٍ

إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ بِأَحْوَالِكُمْ جَهَارَى

[1] ديوان العلاوي ص 12 .

[2] – الرسالة القشيرية في علم التصوف للإمام أبي القاسم القشيري صفحه 153.

[3] – ديوان العلاوي ص 116.

جاء مصطلح السكر في هذين البيتين للدلالة على حالة الفناء في الذات الإلهية ويقصد هنا أهل الشهود والعيان بالأولياء الصالحين رضي الله عنهم الذين وهبهم الله مكانة عالية في الدعوة إلى الحق واتباع نهجهم الصالح.

ج/–الزلال:

وإلى جانب ظهور مصطلح الشرب والسكر في قصائد شاعرنا ،العلاوي والتي تحمل دلالات عميقة تصب مجملها في بحر الحب الإلهي التي تبين لنا مدى عظمتها وكذا مدى تعلقه الشديد بها التي جعلته في غنى عن ملذات الدنيا الفانية التي أدرك أن لا منفعة منها بل كل المنافع تتجلى في الذات الإلهية، نجد شاعرنا العلاوي يلجأ لتوظيف مصطلحات عديدة تعبر عن حالته الوجدانية و بالإضافة إلى ظهور مصطلحي الشرب والسكر نجد كذلك مصطلح الزلال الذي يحمل دلالات ومعاني كثيرة تصب مجملها في بحر المحبة الإلهية.

ومن بين الأشعار التي ورد فيها مصطلح الزلال نذكر: [1]

تَشْرَبُ زُلَالًا مِنْ خَمْرَةٍ تُسْقَاهَا، يَا بَرْدَ الأَصَالِ سَلِّمْ عَلَى الطَّهَا

جاء مصطلح الزلال هنا للدلالة على النقاء والصفاء الروحي أي نقاء الخمرة الروحية التي أسكرته حتى أصبح يرتشف من الزلال الدال على الخمرة الإلهية مما يدل على الحب النقي من الشوائب بما في ذلك حب النبي عليه صلوات الله وسلامه.

2/الرمز الغزلي رمز المرأة:

إن الرمز بأنواعه وتعدد مواضيعه له جمالية خاصة يلجأ إليها الشعراء لاسيما الصوفيون منهم إلى استعماله في أشعارهم لأنه طريقة من طرائق التعبير، يحاول بواسطتها الصوفيون محاكاة رؤاهم ونقل تصوراتهم عن المجهول والكون والإنسان ،ووصف العلاقة بين الإنسان والله.[2]

[1] ديوان العلاوي ص 83.

[2] وضحى يونس، القضايا النقدية في النثر الصوفي حتى القرن 7 هـ، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، د ط، 2006، ص 106.

ومن بين الرموز التي ازدحمت بها كذلك قصيدة العلاوي في ديوانه رمز المرأة إذ يقول في أبياته في قصيدة" دنوت من حي ليلى" :[1]

دَنَوْتُ مِنْ حَيِّ لَيْلَى لَمَّا سَمِعْتُ نِدَاهَا،

يَا لَهُ مِنْ صَوْتٍ يَحْلُو أُودُّ لَا يَتَنَاهَى

رَضِيَتْ عَنِّي، جَذَبَتْنِي أَدْخَلَتْنِي لِحِمَاهَا،

آنَسَتْنِي، خَاطَبَتْنِي أَجْلَسَتْنِي بِجِذَاهَا

وقوله كذلك :[2]

وَاللَّهِ مَا رَأَتْ عَيْنِي وَلَا شَهِدَتْ سِوَاهَا،

جَمَعَتْ فِيهَا الْمَعَانِي سُبْحَانَ الَّذِي أَنْشَاهَا

يَا وَاصِفَ الْحُسْنِ عَنِّي هَاكَ شَيْئًا مِنْ سَنَاهَا،

فَذَا مِنِّي، هَذَا فَنَاءٌ لَا تَنْظُرْ فِيهِ سَفَاهَا

مَا كَذَبَ الْقَلْبُ عَنِّي إِذَا بَاحَ، يُلْقَاهَا،

إِذَا كَانَ الْقُرْبُ يُغْنِي أَنَا الْبَاقِي، سَقَاهَا

يَا لَهَا مِنْ نُورِ غِنًى عَنِ الشَّمْسِ وَضُحَاهَا،

بَلْ هِيَ شَمْسُ الْمَعَانِي وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا

إن رمز المرأة في هذه الأبيات يتجلى بارزا وواضحا حيث استعمل الشاعر العلاوي اسم ليلى رمزا للذات الالهية ليصور تعلقه وهيامه بها حيث يستحضر المتلقي صورة قيس ذلك العاشق المتيم بليلاه كما نقل لنا الشاعر المعاني الحسية من الغزل العادي إلى الغزل الإلهي بحيث أضحت المعاني روحية بحتة، فحب ليلى هو رمز للحضرة

[1] ديوان العلاوي ص30-31.

[2] - ديوان العلاوي ص31.

الإلهية والقرب من ليلى هو القرب من الذات الإلهية أيضا ،وقد ورد إسم ليلى بكثرة في أشعار الشعراء الصوفية كونها تمثل رمز المرأة الأنثى الجميلة المعشوقة لجمالها وحسنها ،ونجد إسم ليلى يحضر كثيرا عند الشعراء على خلاف المسميات الأخرى لأن ذلك يعود إلى شهرتها في التراث العربي القديم، نذكر من ذلك قصة "قيس وليلى " التي أضحت رمزا للعشق العذري الصافي هذا ما دفع بالشعراء الصوفية إلى اتخاذهم اسم ليلى للتعبير عن حبهم الإلهي بشكل رمزي.

كما اتخذ شاعرنا العلاوي رمز المرأة معراجا لوصف حالة الشوق والهيام لا بالمرأة الأنثى الكائن الجميل بل الوجد والحب والشوق للذات الإلهية ،و قد ورد كذلك إسم ليلى في قصيدة "أرقني الغرام " التي قال فيها شاعرنا [1]:

وَالْقَلْبُ فِي هِيَامٍ مَعَ الجَمِيلَا

وَدَمْعِي فِي إِنْسِجَامٍ عَمِلْتُ مَسِيلَا

مِنْهَا صَابَتْنِي سِهَامٌ صِرْتُ عَلِيلَا

يظهر في هاته الأبيات جليا حب الشاعر و هيامه بليلى التي وجدها سبيلا مناسبا لوصف ما يختلج داخل نفسه من مشاعر و أحاسيس صادقة ألا وهي الحب و العشق الإلهي النقي.

و إلى جانب ظهور اسم ليلى عند العديد من الشعراء الصوفية في قصائدهم وردت كذلك مسميات أخرى ترمز جميعها للحب الإلهي المطلق الذي يعبر عنه من خلال اتخاذ الأنثى رمزا للذات الإلهية.

و عند شاعرنا العلاوي كذلك ورد اسم لبنى في قصيدة "تيهتني لبنى " التي قال فيها :[2]

تِيهَتْنِي لُبْنَى بِلَثْمِ لِثَامِ

بِوَصْلِهَا جُزْنَا مَا حَوَى كَلَامِ

قَدْ جَاوَزْنَا عُدْنَا وُجُودَ الْخِيَامِ

[1] – ديوان العلاوي ص 52.

[2] – ديوان العلاوي ص 79.

مَالِي وَالْحُسْنَى إِنْ صَحَّ مَرَامِي

تمثل هنا لبنى رمزا روحيا يعبر عن الحب الإلهي الذي يجسده شاعرنا في صورة حب لبني المرأة الجميلة التي تيهته و جعلته في حيرة من أمره مما يعبر عن حالة الذهول و التأمل في جمال الذات الإلهية ، فلبنى هنا رمز المرأة الأنثى الفاتنة ليست مجرد صورة أنثوية جسدها الشاعر المتيم إلى معرفة الذات الإلهية فكانت لبنى سبيله في التعبير عن ذلك.

و ما توظيف اسم ليلى و غيرها من المسميات الأخرى في قصائد شاعرنا العلاوي إلا رمز للذات الإلهية يعبر بها الشاعر عن مشاعره الملتهبة التي يعجز اللسان عن البوح بها و وصفها لما تحمله من معان قوية رقيقة تذرف لها العيون، فكان الغزل سبيله للتعبير عن حالته الوجدانية و وصف حبه الذي لم يستطع إخفائه في باطنه ، بل أراد تجسيده في شكل قصائد معبرة ، و من الأغراض التي وجدها تساعده في التعبير عن حبه الإلهي" رمز الغزل"

3–/ رمز الطبيعة:

تعد الطبيعة كتاب متشعب المسالك ،و هي لوحة فنية ذات ألوان زاهية مفعمة بالحب و الارتياح من صنع الخالق ، فالشعراء الصوفيون تناولوا رمز الطبيعة ، و اعتبروه ركيزة أساسية في شعرهم ، فقد نظروا إلى المخلوقات جميعا على أنها مجلة من مجال الحق و الجمال الإلهي ولا بد أن يكون الشجر و الأنهار و الورد و كل مظاهر الجمال في الطبيعة مصدرا من مصادر الإعجاب ،و رمزا من رموز الصوفية الشعرية الجميلة .[1]

و قد ورد رمز الطبيعة بكثرة في قصائد شاعرنا العلاوي للتعبير و الدلالة عن الفناء في الذات الإلهية، و هذا ما تجلى في قصيدة" صاب القلب ادواه" التي نسج شاعرنا فيها أبياتا موحية يرمز من خلالها إلى الذوبان في ذات محبوبه أين قال فيها :[2]

صَابَ القَلْبَ أَدْوَاهْ صَابَ القَلْبَ أَدْوَاهْ

[1] – إبراهيم محمد منصور: الشعر والتصوف، الأثر الصوفي في الشعر العربي، دار الأمين، شبكة الفكر، د ط ،1945 م/1995 م ص 68.

[2] – ديوان العلاوي ص 95.

الحَبِيبْ اللّي حَبَّيْتُه انْصَابْ وَتْرَابِي كُنْتْ أَمْعَاهْ

زَالْ الغَيْمْ وَزَالْ السَّحَابْ طَلَعَتْ شَمْسْ أَبْهَاهْ

حِينْ عَرَفْتُهْ زَالْ السَّرَابْ مَا بْقَى غَيْرْ الله

يعبر الشاعر في هذه الأبيات من خلال توظيفه لرموز الطبيعة عن دلالات روحية عميقة ، حيث يرمز "السحاب " إلى بشائر الفيض الروحي و أن الغيم الذي يغطي على السحب سيزول و بذلك تنزل الرحمة الإلهية على القلوب لا سيما أهل العرفان و الذكر ، "و ستطلع الشمس" لتنير القلوب و التي ترمز بطبعها للذات الإلهية التي تنير القلوب بالرحمة و المغفرة ، كما أن السراب الذي يرمز إلى الوهم و الخداع سوف يزول و بذلك يستطيع السالك و المريد من الوصول إلى الذات الإلهية و يرمز السراب إلى ملذات الدنيا الفانية التي يجب على المريد الإنقطاع عنها كليا حتى يتمكن من الغوص في ذات خالقه.

و جاء أيضا رمز الطبيعة ظاهرا في القصيدة نفسها حيث يقول شاعرنا فيها :[1]

وَلَوْلَا لَيْلَتِي فِي لَيْلَةٍ قَدْ سَفَرَتْ شُمُوسُ النَّهَارِ فِي النَّهَارِ مَا طَلَعَتْ

استخدم شاعرنا العلاوي رموز و مصطلحات الطبيعة اليل ، النهار و الشمس ليعبر عن تجربته الروحية و التأمل و الاتحاد في جمال الإله و تصويره حيث جاء الليل للدلالة عن الخلوة التي يتأمل خلالها السالك و المريد جمال خالقه بالإعتكاف ، أما رمز الشمس جاء للدلالة عن النور بما في ذلك النور الإلهي الذي يتبين للسالك و المريد بعد الخلوة و الاعتكاف .

كما جاء رمز الطبيعة جليا في القصيدة ذاتها حيث قال شاعرنا :[2]

وَلِيَبْكِهِ عَرْشُ اللهِ وَالكُرْسِيُّ وَالسَّمَا وَلْتَحْيَ بِهِ الثَّرَى فَصَارَ لَهَا ذُخْرُ

وَيَا سَمَا أَسَفاً فَهَلْ يَنْفَعُ العُلَا فَلَوْ كُنْتِ مِنْ أَرْضٍ لَكَانَ لَكِ الفَخْرُ

[1] – ديوان العلاوي ص 96 .

[2] – ديوان العلوي ص 100.

وقد وردت كذلك رموز الطبيعة في هذين البيتين للدلالة والإيحاء على الحزن الشديد الذي ألم بشاعرنا بعد فقدانه الشيخ البوزيدي ويعد هذا النوع من الشعر شعر الرثاء الذي يبكي فيه شاعرنا لفقدان شيخه حيث اتخذ من رموز الطبيعة وجعل منها أداة للتعبير عما بداخله من مشاعر الحزن والأسى وألم الفقدان حيث وظف رمز السماء للدلالة على سمو مكانة فقيده ورفعته لهذا يجب أن يبكي ويحزن على فراقه وفقدانه حتى أهل السماء دلالة على جلال ومقام ورفعت مكانة المرثي الروحية ،كما جاءت لفظة عرش الله والكرسي ترمز وتدل على أعلى مراتب الوجود والملكوت ثم وظف رمز الأرض للدلالة على أن الأولياء والصالحين هم خير خلق الله في الأرض وأنها مباركة بهم حتى بعد مماتهم.

4-/الاتحاد والحلول:

ومن بين الموضوعات الصوفية التي وردت هي الأخرى في ديوان شاعرنا العلاوي نجد نظرية الحلول والاتحاد التي تعني تجلي الذات الإلهية في الذات الإنسانية وذوبان هاته الأخيرة وفنائها في الذات الإلهية وقد تجلى هذا في قصيدة "يا من لم تفهم مقالي" لشاعرنا العلاوي الذي نظم شاعرنا في أبياتها:[1]

يَا مَنْ لَمْ تَفْهَمْ مَقَالِي لِمَاذَا تُنْكِرْ عَلَيَّا؟

أَنْتَ مِنَ الفَهْمِ خَالِي جَاهِلًا بِالأُلُوهِيَّةِ

لَوْ كُنْتَ تَعْلَمْ بِحَالِي تَعْتَرِفْ لِي بِالْمَزَايَا،

تَرَانِي بَيْنَ الرِّجَالِ كَشَمْسٍ عَلَى بَرِّيَّا

يظهر لنا واضحا في هذه الأبيات ذوبان ذات العارف الا وهو شاعرنا العلوي في ذات محبوبه ما يظهر لنا فناء شاعرنا في الذات الإلهية وحلولها في ذات شاعرنا العلاوي ،هذا ما يدل على مدى قرب العبد من ربه وما نستخلصه من هذه الابيات ان شاعرنا يعبر عن تجربته الروحية في الحلول والإتحاد أي الذوبان الكلي والتام في المحبوب الإلهي تختفي الأنا وتحل محلها الذات الإلهية.

[1] – ديوان العلاوي ص 34.

5/نظرية الإشراق:

والذي يرى أصحابها أن الوصول إلى معرفة حقائق الوجود يتم عن طريق النور الذي يقذفه الله في قلب عبده بعد تطهير النفس ،ويعتبرون الله والملأ الأعلى أي عالم الأرواح جوهر روحاني من نور، فيكون وصول المعرفة من النفس الطاهرة من خلال النور الواصل من عالم الأرواح.[1]

اي أن الصوفي يرى بأن الإشراق لا يتحقق إلا بالمجاهدات النفسية والروحية وكثرة الأذكار والتعبد والزهد في الدنيا بترك ملذاتها ،كما أن المعرفة الحقيقة تدرك بنور باطني يشرق في القلب بعد تزكية النفس وتطهيرها.

ومن مستلزمات هذه النظرية عند شاعرنا العلاوي نجد مصطلح الكنز الذي يعرف عند اهل التصوف بأنه الهوية الأحدية المكنونة في الغيب وهو أبطن كل بطن.[2]

أي أن مصطلح الكنز غالبا ما يأتي لدلالته على ذات الإلهية التي تتجلى في جميع مظاهر الكون وليست ظاهرة بشكل مباشر بل هي مستترة عن الخلق ولا ندركها إلا عن طريق الإشراق الروحي بما في ذلك الرحمة، الهداية، المغفرة، والرزق وغيرها كثير من الصفات الإلهية التي تظهر في الخلق.

وقد ورد مصطلح الكنز في ديوان شاعرنا العلاوي في قوله [3]

فَلَوْلَا ذٰلِكَ مِنْهُمْ لَبَقُّوا كَنْزًا مُعَطَّلَا قَدْ ظَهَرَ مَكَانٌ مِنْهُمْ فِي البُطُونِ وَانْجَلَى

أَظْهَرُوا الكَوْنَ مِنْهُمْ بِلَا شَبَهٍ وَلَا مِثْلَا بِالظُّهُورِ مِنْهُمْ لَهُمْ وَالبُطُونِ فَلَا زَالُوا

نجد في هذه الأبيات أن مصطلح الكنز جاء للدلالة على اهل الذكر من الأولياء الصالحين الذين يدعون إلى الحق واتباع طريق الله ،وفي صحبتهم هداية للناس والخلق ولولا اختيارهم ليكونوا من الأولياء الصالحين لبقوا في الخفاء ، وهذا ما جاء في قول شاعرنا لبقوا كنزا معطلا بمعنى أنهم لو لم يظهروا للخلق لبقوا في الغيب والسر ، و بظهورهم تظهر وتتجلى أداة الإلهية أما دلالة البطن في البيت الثاني في البطون وانجل تعني أن أولياء الله الصالحين يظهرون السالكين والمريدين جميع ما كان كاملا في داخلهم وباطنهم من أسرار الذات الالهية وإظهارها للعيان ،

[1] – فيليب حتي الإسلام، منهج حياة ، ط2 ، عمر فروخ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، مارس 1997 م ص 130.

[2] – رفيق العجم: المرجع السابق، ص 802.

[3] – ديوان العلاوي ص109.

وبهذا نجد ان البطن تدل على السر والخفاء وهم يظهرون ما في بطونهم ليس مجرد اظهار سطحية بل هو أعمق من ذلك.

تناولت الدراسة النزعة الصوفية في ديوان العارف بالله والدال عليه للشيخ والشاعر أحمد بن مصطفى العلاوي المستغانمي، حيث تطرقت إلى مضامين النزعة الصوفية في ديوان شاعرنا العلاوي وقد اتخذت مسارات متعددة وانغمست في ثنايا قصائده الشعرية انغماس الروح في الجسد للغوص في هذه المضامين أين تطرقت خلال دراستي لديوان العلاوي إلى التصوف السني وموضوعاته التي حفل بها الديوان ، حيث تطرقت كذلك في الدراسة إلى كل موضوع من هذه الموضوعات واسقطته على القصائد والأبيات التي تجلى فيها على سبيل الذكر موضوع المديح النبوي الذي كان له الحظ الأوفر في الظهور في قصائد شاعرنا العلاوي أين ظهر مدح الرسول صلى الله عليه وسلم في العديد من القصائد دلالة على حب شاعرنا العلاوي للنبي كما خصصت الحديث أثناء دراسته للديوان عن موضوع الذكر اين تبين لي ان العلاوي من الشعراء الداعين إلى العودة إلى الله تعإلى حيث يخص في دعوته إلى ذكر المريدين والسالكين.

كما لاحظت اثناء دراستي لديوان العلاوي أنه تناول العديد من الموضوعات وكذا المصطلحات التي تندرج ضمن التصوف السني كما تطرقت كذلك إلى التصوف الفلسفي الذي كان بارزا في قصائد شاعر من خلال الرموز الصوفية المتنوعة التي ساهمت بشكل كبير في تجديد المعاني وإحيائها مما يزيد ويضفي جمالية على القصائد وتعددية في القراءة والتأويل من قبل المتلقي للوصول إلى المعنى المقصود من طرف الشاعر ومن بين الرموز التي وردت في قصائد العلوي نذكر رمز الخمر الذي ورد بكثرة الماء لما له من دور مهم في التعبير عن أحوال الشاعر والكشف عن مواعيده تجاه الذات الالهية إلى جانب رمز الخمرة ورد في أشعار وقصائد العلوي رمز المرأة الذي ادرجه شاعرنا بكثرة هو كذلك لما يحمله من دلالات عميقة منها الحب الإلهي فشاعر يستخدم المرأة للتعبير عن تغزله بالذات الإلهية وحبه الشديد لها فالمرأة تمثل أصل الجمال ومعراج وصف شوقه وهيامه كما وظف شاعرنا في قصائده رمز الطبيعة نذكر منها الشمس، السماء، السحاب، السراب الأرض وغيرها كثير معتمدا على الصور البيانية التي كانت وسيلة عبر من خلالها شاعرنا العلاوي عن وجده وتعلقه بذات الإلهية اضافة إلى العديد من الرموز والموضوعات التي تبين نزعة الشاعر الفلسفية في التصوف ونظرية الحلول والاتحاد والإشراق.

إن مجمل اشعار وقصائد مصطفى العلاوي تعكس تجربته الصوفية وما يختلج روحه من حب وجمال وقيم أخلاقية يكنها في نفسه لكنها للخالق جل جلاله.

خاتمة

وفي ختام هذه الدراسة التي تناولت موضوع النزعة الصوفية وتجلياتها في ديوان أحمد بن مصطفى العلاوي المستغانمي توصلنا إلى نتائج الآتية.

ان موضوع التصوف أو النزعة الصوفية واسع ومتشعب حيث أخذ مكانة خاصة في أوساط المتصوفة وكذا الفلاسفة والمفكرين منذ ان بدأ بالظهور لاسيما بالجزائر أين ظهر بها أول مرة في منطقة القبائل وتحديدا ببجاية.

ساهمت الطرق والزوايا بالجزائر من خلال تأسيسها على أيدي مشايخ كبار لمعت أسماؤهم في ساحة الجزائرية والمغربية على نشر الإسلام ومحاربة الجهل والأمية لا سيما إبان فترة الاحتلال الفرنسي ومحاولة لطمس مقومات الهوية الوطنية وهذا ما بعثته طريقه العلوية التي تأسست على يد الشيخ أحمد بن مصطفى العلاوي حيث شكلت حدثا هاما ومكسبا ثقافيا واجتماعيا ومثل حجر الزاوية في تطوير الحركة العلمية والفكرية في الجزائر وترقية المجتمع الحضاري.

تجلت وتباينت موضوعات النزعة الصوفية في ديوانه بين مضامين التصوف السني المتمثلة في الحب الإلهي المديح النبوي الذكر والتزكية الأوراد والأذكار ومضامين التصوف الفلسفي المتمثلة في الرموز وكلها تصب في الوجد الصوفي.

ابتسمت موضوعات التصوف السني في ديوان الشاعر بالوضوح والبساطة بينما اتخذت المضامين الصوفية الفلسفية الطابع والمنح الرمزي الذي يتطلب إنعام النظر في التحليل.

ومن أبرز الرموز المتجلية في ديوان شاعرنا العلوي نجد رمز الخمرة للدلالة على الحب الإلهي المطلق من خلال توظيف المصطلحات التي تنطوي تحت هذا الرمز ومن أبرزها الشرب السكر الزلال كما برز كذلك رمز المرأة خصوصا ليلى التي تمثل رمزا روحيا يعبر عن الحب الإلهي الذي جسده شاعرنا في سوره المرأة لكونها معراجا لوصف حالة الوجد والهيام بذات الإلهية بالإضافة إلى ظهور رمز الطبيعة التي عبر من خلالها شاعرنا العلاوي عن مدى حبه وهيامه الشديدين بمن أحسن وأبدع في تصوير هذا الكون الله سبحانه وتعالى إلى حيث برزت رموز طبيعة التي وظفها في ديوانه وتمثلت في الشمس السحاب الغيم وغيرها.

استثمر الشاعر طاقة بعض النظريات الفلسفية في فلسفة توجهه الصوفي نذكر نظرية الاتحاد والحلول ونظرية الإشراق ووحدة الوجود.

جمع احمد بن مصطفى العلاوي بين النزعة الروحية والتوجه الابداعي فهو شيخ الطريقة العلوية في الجزائر ومؤسسها وقد أبان عن أسسها في إبداعه الشعري.

وفي الاخير ارجو ان اكون قد وفقت في دراسة هذا الموضوع واعطيت صوره واضحة عن النزعة الصوفية وتجلياتها في ديوان أحمد بن مصطفى العلوي المستغانمي وأن تكون دراسته البحثية في المستوى المطلوب دون أن أنسى توجيه اهتمام الباحثين والدارسين إلى الأدب الصوفي الجزائري الذي ما تزال مدونتي الشعرية والنثرية مجالا خصبا للتقصي والدراسة احياء له من جهة تعميقا للدراسة من جهة أخرى.

قائمة المصادر والمراجع

*** القرآن الكريم رواية ورش**

أولا: المصادر

- ديوان العارف بالله والدال عليه للشيخ أحمد بن مصطفى العلاوي .

ثانيا: المراجع

– إبراهيم محمد منصور : الشعر و التصوف ، الأثر الصوفي في الشعر العربي ،دار الأمين ،شبكة الفكر ، د ط ،1945 م/1995 م .

– أحمد التيجاني الغوته :التصوف الإسلامي ، مبادئه و مقاصده و غاياته ط 2 –مطبعة المنار ،تونس 1987.

– آمنة العيادي ، صبرينة برجم ، المكانة الدينية للطرق الصوفية في الجزائر خلال القرن العشرين الطريقة العلاوية أنموذجا (1909–1934م) ، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي المعاصر ، وزارة التعليم العالي و البحث العلمي جامعة 8 ماي 1945 قالمة – كلية العلوم الإجتماعية الإنسانية ، قسم التاريخ ، 2019-2018 .

– أمين يوسف عودة تجليات الشعر الصوفي المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت لبنان طبعة 338 ، 2001.

– ابن الوفاء التفتزاني مدخل إلى التصوف الإسلامي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ت 4696، 59، ط 3.

– ابن بكر محمد الكلابذي : التعرف لمذهب أهل التصوف ، تحقيق عبد الرحيم محمود ، طه عبد الباقي سرور ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة 1960/138م .

– تاريخ الجزائر الثقافي للدكتور سعد الله ، درا البصائر للنشر والتوزيع، طبعة خاصة ت 1435هـ.

– لمي محمد مصطفى الحب الإلهي في التصوف الإسلامي ، دار المعارف، القاهرة، ط 2 لاتا .

– بن خلدون المقدمة، دار الفكر ، سورية (د ط)) (د.ت).

– الدباغ: معالم الإيمان، ج2 ص283 وما بعدها الباروني: الأزهار الرياضية .

– الرسالة القشيرية في علم التصوف للإمام أبي القاسم القشيري .

– رفيق العجم ، موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ، ط 1، 1999 م.

– سعاد الفحصي ، صورة الخمرة في قصيدة المديح النبوي ، في فجر الدولة العلوية ، موقع دنيا الوطن ت w w w pulpit el watanvoice com. ، 21/11/2005

– سعيد وسقطة ، الرمز الصوفي في الشعر العربية المعاصر، منشورات بونة لبحوث والدراسات 1429 – 2008م . ط م.

– سليمان بن عبدالله الباروني: الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضة، القسم الثاني، مطبعة الأزهار البارونية دت.

– شمس الدين محمد الذهبي تذكرة الحفاظ ج 3، دار التراث العربي بيروت 1376هـ/1956م .

– الشهائد و الفتاوى فيما صح لدى العلماء من أمر الشيخ العلاوي ج محمد بن محمد بن عبد الباري الحسني التونسي ،علق عليه :قدور بن أحمد المجاجي ،ط –تونس 1344-1925م.

– صلاح مؤيد العقبي الطرق والزوايا الصوفية بالجزائر تاريخها ونشاطها ، النشر دار البراق 17/10/2016م د. تاريخ الاصدار 01/01/2002 الصفحة بيروت لبنان، د ط تاريخ الاصدار 2002/01/01م.

– الطاهر بونابي التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و 7 الهجريين 12 و 13 الميلاديين نشأته تياراته رقم الابداع 1243- 2004 المكنية الوطنية الطبع بشركة دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع عين مليلة .

– الطبري ، جامع البيان عن تأويل القرآن ، مطبعة مصطفى الباجي ، ط 3 ،ج4 .

– عاطف جودة نصر ، الرمز الشعري عند الصوفية ، دار الأندلس، الاسكندرية ط1 1983 .

– العوادي عدنان حسين، الشعر الصوفي حتى أفول مدرسة بغداد وظهور الغزالي ، دار الرشيد، وزارة الثقافة والإعلام ،العراق ،الطبعة الأولى، 1979.

– فيليب حتي الاسلام منهج حياة ، ط2 ، عمر فروخ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، مارس 1997 م .

– محاضرات في الأدب الصوفي الجزائري الدكتورة أسماء سوسي 2021 م – 2022 م .

– محمود عبد الرزاق، المعجم الصوفي(دراسة علمية في الأصول القرآنية للمصطلح الصوفي) . 1237 .

– بن مزور عامر و مسيكة محمد الطريقة العلاوية في الجزائر ، طريقة صوفية في حلة عصرية د ن] الجلفة، (د. ت).

– وضحى يونس 2006 القضايا النقدية في النثر الصوفي حتى القرن 7 هجري اتحاد الكتاب العرب دمشق سوريا.

– يوسف توفيق ، الحضرة في التصوف الشيعي ، الزاوية العلاوية أنموذجا ، الثقافة الشعبية العدد 19 ، 2012م.

ملحق

مولد و نشأة الشيخ العلاوي :

شهدت الجزائر في أواخر القرن التاسع عشر حراكا إصلاحيا واسعا شمل مختلف الميادين السياسية و الدينية ، و قد برز في خضم هذا الحراك عددا من العلماء و الدعاة اللذين حملوا لواء التجديد الديني، و كان من أبرزهم الشيخ أحمد بن مصطفى العلاوي ،فقد اضطلع هذا الأخير بدور ريادي تمثل في تأسيس طريقة صوفية جديدة و التي حملت إسم مؤسسها أحمد بن مصطفى العلاوي، و التي عرفت" بالطريقة العلاوية "التي انطلقت من الغرب الجزائري و تحديدا من مدينة مستغانم و من هنا يبرز التساؤل : من هو الشيخ أحمد بن مصطفى العلاوي؟ و كيف كانت ملامح نشأته الأولى ؟

مولد الشيخ العلاوي و نشأته:

يوجد اختلاف في تاريخ ولادته بعضهم يقول أنه و لد في 13 أكتوبر 1874 م و هو التاريخ الذي أكده تلميذه عدة بن تونس حيث قال[1]:" ولد رضي الله عنه بمحاضرة مستغانم في 1291 هـ" .

و هو العباس أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي شنتوف ، و المعروف أنه نشأ في أسرة ميسورة الحال و ذات جاه في أوساط مستغانم ، كذلك يعرف عن أصول الشيخ العلاوي أن القضاء كان حكرا عليهم.[2]

كانت سيرة الشيخ العلاوي مع والديه سيرة حسنة ، حيث كان ملتزما بالطاعة لوالده و محبا له ، أما أمه فقد كانت أكثر تفننا في حبه و الخوف عليه أن يقع عليه أذى إلى درجة أنها كانت تمنعه من الخروج في الليل ، و خاصة أن سكنهم كان خارج بلدة مستغانم ، و ظل الشيخ العلاوي يشتري ودها بكل حيلة و يلاطفها من دون أن يتخلى عنها ، و دامت هذه المودة إلى أن انتقلت إلى رحمة الله سنة 1914 م[3] .

---

[1] آمنة العيادي ، صبرينة برجم ، المكانة الدينية للطرق الصوفية في الجزائر خلال القرن العشرين الطريقة العلاوية أنموذجا (1909-1934م) ، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي المعاصر ، وزارة التعليم العالي و البحث العلمي جامعة 8 ماي 1945 قالمة – كلية العلوم الإجتماعية الإنسانية ، قسم التاريخ ، 2018-2019 ، ص 13.

[2] المرجع نفسه، ص 13.

[3] المرجع نفسه ،ص13.

عندما توفيت والدة الشيخ العلاوي كان عمره 46 سنة و هي السنة التي أسس فيها طريقته الصوفية العلاوية[1].

أما فيما يخص الحياة الزوجية لإبن عليوة ، أنه لم يعرف الإستقرار زوجيا ، إذ كان الطلاق هو مصير كل زواج ، إلا الزوجة الأولى التي كانت من تلمسان انتهى زواجه بها بسبب وفاتها ، و كان ذلك متزامنا مع وفاة شيخه البوزيدي الملقب بقطب الأنام و هي الزوجة الوحيدة التي مدحها الشيخ العلاوي لأنها كانت بارة به حسنة المعاشرة ، ثم تزوج بعدها بإحدى بنات شيوخ الطريقة الدرقاوية و هو أحمد بن ثريا ، و كان هذا الزواج غرضه إبقاء الشيخ العلاوي في الوطن و منعه من الهجرة[2]. لكن هذا الزواج لم يستمر و يرجع ذلك إلى أن هذه الزوجة لم تستطع العيش مع والدة الشيخ العلاوي حيث يقول :"فاشتدت حيرتي لما كانت عليه من مراعاة إسعاف الوالدة رحمها الله[3]، و بذلك تم الطلاق من زوجته بطلب من والدها .

وانتهى زواج ابن العلاوي بالإجمال بأربع زوجات كل انتهت بالمفارقة.

فإن كل ما نستنتجه من الحياة الزوجية لابن العلاوي، أن التزويج كان يتم داخل الرابطة الصوفية، لأن الطريق له متطلبات لا يمكن أن يتحملها المجتمع العام سواء من جهة أعباء النسبة من ملازمة وخدمة النسبة أو تلك الأمور التي تشتت الأمور الدنيوية، ويضاف إلى ذلك أن الشيخ العلاوي كان متعلقا بالقوة المعروفة الإلهية إلى درجة التضحية بكل شيء لذلك كان مصير زواجه في كل مرة الطلاق[4].

رغم هذا كله فإن الشيخ العلاوي كان يتميز في عصره بصمته الطويل وخفة صوته إلى درجة إنجذاب من يستمع متابعة الكلام كما أنه كان مخلصا و كان أيضا شخصية متسامحة وبهذا يكون الشيخ العلاوي قد فرض نفسه في أوساط المجتمع الإسلامي.[5]

[1] المرجع السابق، ص 14.
[2] المرجع نفسه ، ص 14.
[3] المرجع نفسه ، ص 14.
[4] المرجع نفسه ، ص 14.
[5] المرجع نفسه ، ص 15.

الشيخ أحمد بن مصطفى العلاوي مؤسسة وشيخ الطريقة العلاوية

الشيخ أحمد بن مصطفى العلاوي مؤسسة وشيخ الطريقة العلاوية

فهرس المحتويات

العنوان	الصفحة
الشكر والعرفان	
الإهداء	
مقدمة	أ–د
الفصل الأول: النزعة الصوفية في الجزائر مفاهيم و إرهاصات	
تمهيد:	5
أولا : مفهوم التصوف	6
ثانيا : الخطاب الشعري الصوفي:	9
ثالثا: نشأة النزعة الصوفية وإرهاصاتها بالجزائر.	10
رابعا: أشهر أعلام النزعة الصوفية بالجزائر:	14
خامسا : الطرق والزوايا الصوفية بالجزائر تاريخها و شاطها:	16
سادسا: لطرق الصوفية بالجزائر تاريخها و نشاطها:	21
الفصل الثاني: تجليات النزعة الصوفية في ديوان أحمد بن مصطفى العلاوي –دراسة في نماذج مختارة–	
تمهيد	38
أولا: التصوف السني و موضوعاته:	39
1.1. الذكر:	39
2.1.لتزكية:	41
3.1.الشكر:	42
4.1.المديح النبوي:	44
أ/الحقيقة المحمدية:	48
ب/ النور:	49
ج/الجذب والجذبة:	50
د/ الفخر:	51
هـ/ الشيخ	52
5/الحب الإلهي:	54

آ /العشق:	55
ب– الرحمان:	56
ج–/المريد:	57
6/ الأوراد والأذكار الخاصة بشاعرنا وشيخنا العلاوي التي وردت في ديوانه:	58
ثانيا: التصوف الفلسفي وموضوعاته:	59
مفهومه:	59
1/ رمز الخمرة:	59
آ/ الشرب:	64
ب/السكر:	65
ج/الزلال:	66
2/الرمز الغزلي رمز المرأة:	66
3/رمز الطبيعة:	69
4/الاتحاد والحلول:	71
5/نظرية الإشراق:	72
خاتمة	74
قائمة المصادر والمراجع	76
ملحق	79
فهرس المحتويات	83

ملخص :

تطرق البحث إلى دراسة النزعة الصوفية وتجلياتها في ديوان الشاعر أحمد بن مصطفى العلاوي المستغانمي، ويتضمن فصلين الأول نظري والثاني تطبيقي يسبقهما مقدمة وتليها خاتمة ،حيث تناول الفصل الأول النزعة الصوفية في الجزائر من مفاهيم وإرهاصات وأعلام كان لهم الفضل في إنشاء الطرق والزوايا الصوفية في الجزائر وأبرزها الطريقة العلاوية للشيخ والشاعر أحمد بن مصطفى العلاوي، أما الفصل الثاني فقد تناولت تجليات النزعة الصوفية في ديوان الشاعر من خلال تسليط الضوء على دراسة نماذج مختارة أبانت مزاوجته بين النزعتين السنية والفلسفية بمضامينها المختلفة.

وفي الختام ذيل هذا البحث بخاتمة تضمنت جملة من النتائج المتوصل إليها فيه.

Our research is mainly about the study of Sufi tendencies and their manifestations in the Diwan of the poet Ahmed Ben Mustafa Al-Alawi Al-Mustaghanami.The research is composed of two chapters: the first is theoretical, and the second is applied.It is preceded by an introduction and followed by a conclusion.The first chapter deals with

the study of Sufi tendencies in Algeria, exploring their concepts and prominent figures who contributed to the establishment of Sufi orders and zawiyas, mainly the Alawiyya order established by Sheikh Ahmed Ben Mustafa Al-Alawi.The second chapter focused on the manifestations of Sufi tendencies in the poet's Diwan by highlighting selected examples that demonstrated his integration of both Sunni and Philosophical inclinations, each with its distinct advantages.To sum up, our research concluded with a conclusion that included a set of findings reached at the end of this research.